تصدير :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[سورة القيامة 19/75]

قال رسول الله ﷺ: ((أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)) رواه الشيخان.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الحبيب.

إن القـــرآن بوصـــفة الإطـــار المرجعـــي – الموثـــوق – الـــذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[سورة فصلت 42/41] بالنسبة لحياة المسلمين وثقافتهم، ظل محط اهتمام المسلمين منذ نزوله على قلب محمد ﷺ، فتناولته الدراسات من مختلف الجوانب والأبعاد وتتبعه علماء الأمة بالدرس والتمحيص فأزاحوا حجاب الجهل عن حيثياته المختلفة مما يستدعي متابعة هذه الحركة العلمية الواسعة بغية التعريف – على الأقل – بمنحى من المناحي التي سلكتها هذه الحركة وتقديمه في صورته التشكيلية أو البنائية الموجزة لتتمكن الذهنيـــة العادية من استيعات ما يتصل بالكتاب المحفوظ من معارف ودراسات من خلال صياغتها في قوالب تلم شتاتها وتقربها وتسهل التعامل معها الشيء الذي حدا بنا من بين عدة أسباب أخرى إلى اختيار حركـــة التجويـــد في موريتانيا من خلال مباحث الضاد والهاء والجيم موضوعا لهذه العجالة التي قادنا إلى موضوعها من جهة ثانية:

1 -أن المباحث الصوتية القرآنية اهتم بها العلماء الموريتانيون اهتماما مركزيا يجب الكشف عنه والتعريف به.

2 -أن البحث في أي موضوع كتب فيه علماء موريتانيون مساهمة مهمة في إحياء هذه التـــراث العلمـــي الذي لم يخرج بعد إلى النور نشرا وتحقيقا ودراسة.

3 -أن المعارف المتصلة بالقرآن يجب أن تعطى لها الأولوية كي يتسنى لنا ترتيب الأولويات في إثراء مكتبتنا الثقافية.

ولقد اعترضني بالرغم من هذه الدوافع جملة من الصعوبات كان أهمها:

1 -محدودية التجربة في ميدان البحث وضيق الفترة التي أنجز فيها بحكم أن المساحة المخصصة من الوقت له أخذتها نشاطات رسمية احتلت الصدارة.

2 -صعوبة الحصول على المخطوطات أولا، وصعوبة التعامل معها ثانيا نظرا لكثرة الأخطـــاء والتلـــف والطمس والتحريف أحيانا.

3 -صعوبة استقصاء مصادر ومراجع الموضوع نظرا لكثرتها وتشتتها أو لضياع بعضها بالمرة أحيانا.

4 -الصعوبة الذاتية للموضوع الذي يتقاطع فيه علم الأصوات مع علم التجويد وتتبـــارى فيـــه الروايـــة والدراية.

وقد قسمت هذا العمل على النحو التالي:

- مقدمة وتناولت فيها أسباب الاختيار والصعوبات والمنهجية المتبعة.
- الفصل الأول: وفيه تناولنا تأسيس وتطور وتشعب علم التجويد.
- الفص الثاني: وفيه عالجنا وصول واستقرار التجويد وحركة التأليف والأداء.
- الفصل الثالث: واستعرضنا فيه مباحث الخلاف الصوتية المتعلقة بالجيم والصاد والهاء.

– الفصل الرابع: وقد تناولنا فيه أسباب الخلاف ومقاييس المفاضلة وآثار ذلك.

– الخاتمة: ولخصنا فيها بشكل موجز جدا مسار حركة التجويد.

وبينت المفاهيم المتعلقة بهذا الموضوع، فقررت أنني أعني بحركة التجويد:

وقتنا الحاضر، وأعني بالتجويد الفن الذي نتعلم من خلاله صحة النطق بحروف القرآن الكريم معطاة حقها ومستحقها، ومعرفة أحوال الوقف والابتداء، وأعني بموريتانيا المنطقة المحدودة بالجزائر من الشمال الشرقي والمغرب والصحراء من الشمال والشمال الغربي وبالمحيط الأطلسي غربا وبنهر السنغال جنوبا وبجمهورية مالي شرقا والواقعة شمال خط الاستواء، وأعني بمباحث الجيم والهاء والضاد المباحث الصوتية المتعلقة بنطق هذه الحروف.

وقد اعتمدت في هذا البحث على عدة مصادر ومراجع كان أهمها حسب استفادتنا منها:

– النشر في القراءات العشر: لابن الجزري.

– حياة موريتانيا: المختار بن حامدن.

– نظم في إبطال الهاء الخالص: عبد الله ولد داداه.

– المنارة والرباط: الخليل النحوي.

– شرح بصائر التالين: محمد عبد الله ولد محمد مولود المجلسي.

– مباحث في علوم القرآن: مناع القطان.

– كتاب الضاد: باب ولد الشيخ سيديا.

– الكتاب: سيبويه.

– تحقيق في حرف الجيم: حامدن بن محمذن.

– تحقيق كتاب الحرف السوداني: محمد بن حنبل.

– تاريخ القرآن: إبراهيم الأبياري.

– إرشاد القراء: محمد المختار ولد أحمد.

– خطوة فم الحاس: محمذن فال ولد أحمد ولد العاقل.

– نقلة في حرف الجيم: الشيخ محمد المامي. .. وغيرها.

الفصل الأول: حركة التجويد من النشأة إلى التطور

إن العلوم البشرية والمعارف الكونية لا يبدعها الإنسان ويبتكرها، وإنما يكتشفها ويزيل الحجاب بينه وبينها، فتتجلى على حقيقتها جملة من القوانين تحكم مختلف الظواهر العملية في أبعادها الطبيعية والإنسانية بيد أن اكتشاف هذه القوانين يأتي دائما متأخرا عن ورود الظاهرة العلمية لأنه حصيلة لتتبع وملاحقة الظاهرة أياً كانت في مختلف أطوارها أثناء تكرارها يعني أن قواعد وضوابط أية ظاهرة علمية هي جزء من حقيقة الظاهرة نفسها، تنشأ بالتزامن معها، ولكنه لا يعقل إلا متأخراً عنها عبر الدارية الكاملة لخصائصها ومميزاتها، والظاهرة الصوتية عند العرب واحدة من هذه الظواهر الإنسانية التي ينطبق عليها نفس الناموس، فقواعد وضوابط اللغة العربية رافقتها منذ نشأتها والتجويد بوصفه جملة من القواعد والضوابط والقيود تتناول اللغة العربية في مستواها القرآني، أي تتناول القرآن المترل بلسان عربي مبين تعود نشأتها إلى ظهور القرآن على لسان محمد ﷺ فكيف كان ذلك؟

أولا: البناء والتأسيس:

إن بناء وتأسيس علم التجويد كان حصيلة لحلقات متداخلة وحركة زمنية وتزحزح مجالي وبالتالي مراحل وخطوات متتالية هي:

أ-الخطوة الأولى: هي تلقي رسول الله ﷺ للوحي من جبريل عليه السلام الذي أمره بالقراءة ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾[سورة العلق 96/1-2] وظل يترل إليه بالقرآن منجما وبصورة تدريجية يقرأ خلالها القرآن على مكث وبالطريقة المطلوبة، ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾[سورة الإسراء 106/17] وقد كان جبريل عليه السلام يلقن الرسول ﷺ طريقة أداء القرآن الذي أنزل عليه عبر ما يحمله إليه من الوحي ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ ﴾[سورة القيامة 75/16-19] فتجويد القرآن شرط في تلقيه بشكل صحيح ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ [سورة المزمل 73/4] والتروي والتؤدة خاصيتان من خواص الأداء الجيد، ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ﴾ [سورة طه 20/114] ولقد كان جبريل إلى جانب ذلك خلال فترة الوحي - المتراوحة بين عشرين وخمس وعشرين سنة - يسمع القرآن من النبي ﷺ كل عام حتى كان العام الأخير الذي عرضه فيه عليه مرتين.

يعني أن جبريل كان يستمع إلى تلاوة رسول الله ﷺ للقرآن ليطمئن إلى صحة أخذ رسول الله ﷺ له، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن)).

لقد كانت خطوة التلقي والأخذ عن جبريل تؤسس الظاهرة التجويدية في طورها الأصيل، ونشأتها الأولى، إذ أنها شكلت القمة العليا لهذه الظاهرة على مستوى الأداء، والبداية التأسيسية على مستوى النشأة والتطور.

ب-الخطوة الثانية: اتخاذه ﷺ لعدد من الكتبة:

- اختارهم من فصحاء، وكتاب، ونبهاء الصحابة رضوان الله عليهم.
- يكتبون الوحي فور نزوله، وبالطريقة التي أداه بها رسول الله ﷺ الذي كان حريصا كل الحرص في هذه المرحلة ألا يكتب غير القرآن عنه، فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) إذ أن كتابة غير القرآن في هذه المرحلة ستشوش على الاتجاه التأسيسي لهذا العلم في بعديه الصوتي والصوري، الشيء الذي يعرض الرواة إلى التفريط في الأمر الإلهي: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[سورة المزمل 4/73].

وكان من نتائج توجيه رسول الله ﷺ أن انكب الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة كتبه الوحي على القرآن يجمعونه ويستوثقون من استكماله حتى لا تخرج كلمة عن ضوابط الكتابة الصحيحة، وقواعد النطق السليم، فجمعه علي بن أبي طالب على ترتيب النزول وتقديم المنسوخ على الناسخ ثم جمعه عبد الله بن عباس، ومن قبله أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن عبيد بن النعمان، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وعبيد بن معاوية.

وقد صاحب هذا الاهتمام بالجمع والتحقيق اهتمام بالدراية والأداء، فقد روى أبي بن كعب: أنه دخل المسجد يصلي، فدخل رسول ﷺ ثم جاء رجل فقام يصلي، فقرأ وافتتح "النمل" فخالفني في القراءة، فلما التفت، قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ، ثم جاء رجل فقام يصلي وافتتح "النمل" فخالفني وخالف صاحبي، فلما التفت قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ! فأخذت بيديهما فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ فقلت: استقرئ هذين، فاستقرأ أحدهما فقال: أحسنت، ثم استقرأ الآخر فقال: ((أحسنت))[1]. فقد بدأت إذن قواعد وأسس هذا العلم تنضج على يد كتاب الوحي الذي عجلوا ببلورة قوانين هذا العلم من خلال تتبع القراء ومحاكمتهم على ما كتبوا وسمعوا من رسول الله ﷺ، واختيار من يوفد من القراء إلى خارج مكة بدقة وعناية، حتى لا يخرج النص القرآني عن الضوابط التي تحكمه، والقواعد التي تنظم حركة الصوت فيه، هذا علاوة على مراقبة النشاط التعليمي الذي يهدف إلى محو الأمية كما هو الحال في النشاط

(1) تاريخ القرآن / إبراهيم الإبياري، م.س، ص: 87، 41 .

الذي كان يقوم به أسارى بدر لقاء إطلاق سراحهم. فقد كان القراء يراقبون تعليم هؤلاء الأسارى للصبية ؛ حتى لا يودي إلى اختلال الموازين التي بدأت تتجذر وتترسخ في أذهان الرعيل، وعلى ألسنة مستمدة أصولها الأولى من الملكة الذوقية والسليقة العربية والمعايشة الشفهية للقرآن في بعديه الصوتي والصوري، هذه المعايشة التي سهلها وعمقها تجرد هؤلاء الكتبة وغيرهم ممن تتلمذ عليهم[1] لتصحيح هذا القرآن وإتقانه وتلقيه من النبي ﷺ حرفا حرفا وحركة حركة وسكونا سكونا دون أن يهملوا أي إثبات أو حذف ودون أن يقبلوا تسرب الشك والوهم إليه، فشكل كل واحد منهم إطارا متميزا لقراءة صحيحة ثابتة[2] فكانت اللبنة الثانية الكبرى في بناء وتأسيس وتجريد علم التجويد والانتقال من مستوى الذوق والملكة إلى مستوى التقعيد والضبط وقد كان هذا الاتجاه يلقى التشجيع من رسول الله ﷺ إذ كان مسجده يضج بتلاوة القرآن.

جـ - الخطوة الثالثة: جمع القرآن مرتبا بمبادرة من عمر بن الخطاب واستجابة من أبي بكر الصديق وتنفيذ من زيد بن ثابت الذي كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ مما يؤهله لكتابة المصحف حسب ضوابط وأسس التجويد التي نزل القرآن وفقا لها، ولهذا فقد كلفه أبو بكر بالمهمة قائلا: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه "[3] وزيد جدير بهذا التكليف لمكانته في القراءة والكتابة والفهم والعقل، ولشهوده العرضة الأخيرة، واستيعابه لمختلف معالم النص القرآني أداء وكتابة.

فقد تتبعه وجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، إلى أن وجد آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصاري لم يجدها مكتوبة عند غيره.

إذ كان حريصا أن لا يكتب المصحف إلا من عين ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ مرتبا الآيات والسور، ومراعيا في الكتابة غاية التثبت بحيث تشتمل على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن والتي ستشكل البناء القوي والأساس الجوهري لعلم المقرأ والتجويد، ولهذا فقد قال علي رضي الله عنه: " أعظم الناس أجرا من المصاحف أبو بكر هو أول من جمع كتاب الله ". وقد ظل عمر بن الخطاب يرعى هذه المبادرة القيمة في مجال التأسس والبناء العلمي (المقرأ والتجويد)، وقد روي عنه أنه كان لا يقبل من أحد شيئا من القرآن حتى يشهد شهيدان عليه، فهو بهذا العمل يسهل مهمة زيد بن ثابت، ويكرس الدقة في البناء والتأسيس لمدرسة التجويد والمقرأ، التي تأخذ معالمها الرئيسية وخطوطها العريضة في عهده بشكل سيسمح له بأن

---

(1) النشر في القراءات العشر / ابن الجزري / دار الفكر مج1، ص: 6.

(2) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: ((لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك؟ لقد أعطيت مزمارا من مزامير داود)) رواه البخاري.

(3) مباحث في علوم القرآن / مناع القطان / ط7/ 1990 / مؤسسة الرسالة ص: 124.

يجمع الصبيان على قراءة القرآن الكريم في المكتب على يد إمام من أئمة الفن صورة وأداء، هو عبد الله بن عامر بن عبد الخزاعي[1].

د- الخطوة الرابعة: وكانت الخطوة الرابعة والأخيرة في مرحلة التأسيس والبناء هي جمع المسلمين على مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قرر بإجماع الصحابة أن يستنسخ للأمة مصحفا إماما، قال: ((اجتمعوا يا أصحاب محمد، فاكتبوا للناس إماما))[2].

وحرق ما عداه من المصاحف التي كانت بأيدي المسلمين، وتلقت الأمة أمره بالطاعة. ودواعي تأسيس وبناء المصحف وفق ضوابط نهائية وبشكل مستقر بهذه الصورة التي اجتهد الصحابة وعلى رأسهم عثمان بن عفان رضي الله عنهم هي اتساع الفتوحات الإسلامية، بحيث تفرق القراء في الأمصار، وأخذ القرآن جمع من الناس عن كل منهم وتباينت أوجه القراءة التي يؤدون بها القرآن، ومن ثم راود الشك بعضا في صحة هذه القراءات التي تنسب كلها إلى رسول الله ﷺ، ولما عاين حذيفة بن اليمان في غزوة أرمينية وأذربيجان هذا الواقع المتباين على مستوى الصوت والأداء والمشوب باللحن[3] أحيانا، والتعصب الشديد لطريقة الأداء أحيانا أخرى فزع إلى عثمان وأخبره بما رأى، وكان عثمان قد انتهى إليه أن شيئا من ذلك الخلاف والتباين يحدث لمن يقرئون الصبية، فاستعظم الصحابة رضي الله عنهم الأمر خوفا على كتاب الله من التزييف والتبديل، وبالتالي اختلال الضوابط والأسس والقواعد التي تحكمه وتصونه، فأجمعوا على استنساخ مصحف أبي بكر الصديق، وفقا للروايات الثابتة، وانتدبوا لذلك زيد بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشيين، وأوصى عثمان زيد بن ثابت أن يكتب ما اختلف فيه بلسان قريش، إذ أنه نزل بلسانهم[4].

فقد ألهم رسول الله ﷺ لفظ الوحي ومعناه بأعلى ما ينتظمه اللسان العربي من لغات، وأحرى ما يجمعه من لهجات، ألا وهي لغة مضر، يقول عمر بن الخطاب: ((نزل القرآن بلغة مضر))[5].

وقد أحكم عثمان بناء وتأسيس منهج موحد في القراءة والتجويد بأن أرسل إلى الكوفة مصحفا وإلى البصرة مصحفا وإلى الشام ثالثا، واحتفظ عنده بواحد حسب أرجح الروايات، وذلك كي يتوفر المصحف بمنهجه الموحد في كافة الأمصار، ويتتبع غيره فيحرق لكي يتسنى للمصحف الجديد أن يفعل فعله في اتجاه البناء والتأسيس والصياغة الذي أراد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد انتهى بذلك وضع الأسس والقواعد لعلم التجويد والمقرأ مبكرا سنة خمس وعشرين هـ، لتبدأ مرحلة لاحقة من التطور والانطلاق عبر جملة من مظاهر النمو والتركيز.

---

(1) تاريخ القرآن: إبراهيم الأبياري، م.س، ص: 102.

(2) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، م.س، ص: 131.

(3) مختصر علوم القرآن: د. محمد عبد الكريم الرديني، دار الشهاب، ص: 84.

(4) تاريخ القرآن: إبراهيم الأبياري: م. س، ص: 106.

(5) لقد كانت لغة مضر تنتظم لغات سبعا لقبائل سبع هي: هذيل، كنانة، قيس، ضبة، تيم، الرباب أسد بن خزيمة، وقريش.

ثانيا: التطور والانطلاق:

لقد نما هذا العلم وتطور بسرعة كبيرة بعد مرحلة التأسيس والبناء، وتجلى ذلك على مستوى الكم قـــراء وقراءات، وعلى مستوى الكيف معالجة واستنباطا.

أ- التقعيد والضبط:

لقد كتب القرآن أول ما كتب بالخط السريالي الخالي من النقط والشكل قبل أن يتطور إلى الخط الكوفي المعروف، إلا أن هذا الخط في العهود الأولى لم يقف عقبة في ســـبيل النطق السليم لحروف القرآن وكلماته بسبب السليقة والأصالة اللغوية التي فطروا عليها من جهة، وبسبب أسلوب التلقي والمشافهة الذي اعتمده القراء لضبط القرآن وحفظه والتزام قواعده، غير أن تعدد جنسيات المسلمين الداخلين في الإسلام دعا إلى ضـــرورة وضع القواعد والضوابط الكفيلة بصيانة القرآن عن اللحن والخطأ والتحريف من جهة، وبأدائه وقراءته وفق ضوابط التجويد والمقرأ[1] من جهة ثانية.

فانبرى لهذا العمل أبو الأسود الدؤلي بإشارة من علي رضي الله عنه، وبدافع من الغيرة للقرآن الكريم، فقد سمع من يقـــرأ قولـــه تعـــالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[سورة التوبة 3/9] بكسر لام الرسول، فتتبع النصوص العربية والقرآنيـــة واستخلص القواعد النحوية، وأشفع ذلك بتنقيط المصحف، بحيث اختار كاتبا قال له: "إذا رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضـــممت شـــفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتي فاجعل نقطة من تحت الحرف، فـــإن أتبعت شيئا من ذلك مثله فاجعل مكان النقطة نقطتين"[2].

وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره بتنقيط يغاير لونه لون المـــداد الـــذي كتبت به الآيات، وقد تابع أبا الأسود تلاميذه: نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر في ذلك، إلى أن حفظ وضبط وقيد وعمل به، قبل أن يجيء الخليل بـــن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـــ) ويكمل شكل الخط العربي ويستبدل النقط المدورة بعلامات الفتحة والكسرة والضمة والسكون ليكتمل على يده الضبط والشكل بعد أن اكتمل على يد أبي الأسود التنقيط والتقعيد، فتكتمل بذلك قواعـــد وقـــوانين المقـــرأ والتجويد في بعديها الصوري والصوتي، مما يسمح بوضع أفق محدد وشروط معروفـــة يتحرك ضمنها القراء المعتمدون في فن القراءات، مميزين بين درجات القبول والصـــحة بضوابط كبرى أهمها:

---

(1) مختصر علوم القرآن: د. محمد علي عبد الكريم الرديني، م. س ص: 110.

(2) الحكم في نقط المصحف، ص: 3.

- أن القراءة المتواترة هي "ما وافق العربية مطلقا ووافق أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا وتواتر نقلها".
- في حين أن القراءة المشهورة هي "ما صح سنده برواية العدل الضابط عن مثله، و لم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية ورسم المصحف، واشتهر عند القراء بحيث لم يعد غلطا أو شذوذا".
- وما عدا هذا من آحاد[1] وشذوذ[2] فلا يجوز قبوله.

ب- القراءات:

لقد مرت القراءات القرآنية بأطوار مختلفة، قطعتها لتصبح علما مستقلا، فقد كانت في بدايتها تعليما، ثم تعلما، ثم تلاوة ثواب، ثم تلاوة حفظ، فرواية تسند القراءة إلى رسول الله ﷺ فمجال تخصص، وأخيرا علم قواعد وأصول ومؤلفات وأبحاث....

والقراءة هي "النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي ﷺ أو أقرها، سواء كان النطق باللفظ المنقول فعلا واحدا أو متعددا، فهي إذن علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوة لناقليها".

والقراءات غير الأحرف السبعة[3] -على الأصح- وإن أوهم التوافق العددي الوحدة بينهما، إذ القراءات مذاهب أئمة باقية إجماعا، ومنشؤها اختلاف في اللهجات وكيفية النطق والأداء، من تفخيم وترقيق وإمالة وإدغام وإظهار وإشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف، وجميعها في حرف واحد هو حرف قريش، أما الأحرف السبعة فقد انتهى

---

(1) الآحاد: ما صح سنده، وخالف رسم المصحف، أو أصل العربية، مثل رواية أبي بكرة { متكئين على رفاف خضر وعبقري حسان } سورة الرحمن الآية: .

(2) الشاذة: ما لم يصح سندها وخالفت رسم العربية، مثل قراءة ابن الميفع: { فاليوم ننخيك ببدنك } سورة يونس الآية: 92.

(3) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)) متفق عليه.

وقد تباينت أراء العلماء في هذا الحديث كما يلي:

1 -أكثر العلماء على أن المراد سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، مثل: " أقبل، تعال، هلم، عجل، أسرع، تقدم، أمامك " فحيث تختلف اللغات في التعبير يأتي القرآن منزلا على قدرها.

2 -قال قوم المراد سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن.

3 -المراد بالأحرف أوجه سبعة: الأمر، النفي، الوعد، الوعيد، الجدل، القصص، والمثل.

4 -المراد: وجوه التباين والتغاير السبعة في: الأسماء، الإعراب، التصريف، التقديم والتأخير، الزيادة والنقص، اختلاف اللهجات في النطق، الاختلاف بالإبدال.

5 -المراد بالسبعة ليس حفيقة العدد، وإنما هو الكمال والسعة والتسيير.

6 -المراد القراءات السبع المتواترة.

الأمر بها إلى ما كانت عليه "العرضة الأخيرة" وحين اتسعت الفتوحات، و لم يعد الاختلاف في الأحرف وجها، تفاديا للفتنة والفساد، فحمل الصحابة الناس في عهد عثمان على حرف واحد كتب به المصحف الإمام.

وقد تعددت القراءات بتعدد القراء والرواة، فأوصلها أبو عبيد القاسم إلى خمس وعشرين[1] زيادة على القراءات السبعة المتواترة، والسبب في الاقتصار على قراءات السبعة لا يعود إلى تواترها وصحتها فحسب، بل كذلك إلى اقتصارهم مما يوافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتضبط القراءة به، وإلا فإن قراءات كثيرة لأئمة أجلاء اشتهرت وتواترت، ولكن عامل التسهيل والتبسيط وطبيعة التأليف في الموضوع ساهما في بلورة هذه القراءات السبع أو العشر دون غيرها.

جـ- القراء:

القاري من ذهب مذهبا في النطق بالقرآن بسند صحيح إلى رسول الله ﷺ، ويرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة والحفظ والتجويد إلى صحابة رسول الله ﷺ، الذين اشتهر منهم بالإقراء: أبي بن كعب، علي بن أبي طالب، زيد بن ثابت، ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري... وغيرهم.

فقد قرأ على أبي بن كعب جماعة من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وأخذ عن هؤلاء الصحابة جمع من التابعين بمختلف الأمصار.

- ففي المدينة: ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومعاذ بن الحارث، وعبد الرحمن بن هرمز، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم.
- وفي مكة: عبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، ومجاهد، وابن أبي مليكة، وعكرمة.
- وفي الكوفة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعمر بن شرحبيل، والحارث بن قيس، وعمر بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والنخعي، والشعبي.
- وفي البصرة: أبو العالية، أبو رجاء، نصر بن عاصم، يحيى بن يعمر والحسن، وابن سيرين، وقتادة.
- وفي الشام: المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان، خليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء[2].

وهكذا تلقى عدد من التابعين القرآن بالرواية الصحيحة عن الصحابة رضوان الله عليهم، فتجرد قوم من التابعين لمدارسة القرآن والعناية بضبط وتأصيل وتقعيد القراءة بشكل كامل ومستقصٍ ودقيق، فجعلوها علما كما فعلوا بعلوم الشريعة الأخرى، وصاروا أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم لدراسة القرآن، وفقا

(1) تاريخ القرآن: إبراهيم الأبياري، م. س، ص: 133.

(2) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، م. س، ص: 170.

للضوابط والقواعد التي رافقته منذ نطق الرسول ﷺ به، فاشتهر منهم ومن الطبقة التي تلتهم الأئمة السبعة الذين تنسب إليهم القراءات إلى اليوم، وقد عاشوا متفرقين في الأمصار[1]:

- في المدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم نافع بن عبد الرحمن.
- في مكة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج.
- في الكوفة عاصم بن أبي النجود، سليمان الأعمش، ثم حمزة ثم الكسائي.
- في البصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمرو، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجعدي، ثم يعقوب الحضرمي.
- في الشام: عبيد الله بن عامر، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي[2].

وقد اشتهر من هؤلاء القراء شهرة زائدة وغالبة جماعة شهد لها بالضبط والأمانة، وطول العمر في ملازمة القرآن، واتفاق الناس في الأخذ عنهم، والتزامهم ضوابط القراءة الصحيحة، وهؤلاء هم:

1 -أبو عمرو بن العلاء البصري شيخ الرواة (69 – 154 هـ) وروى عنه أبو عمرو حفص بن عمر بن صهيان النحوي الضرير الدوري (105 - 246 هـ) وأبو شعيب صالح بن زياد السوسي (ت 261 هـ).

2 -عبد الله بن كثير المكي التابعي (45 – 120 هـ) وروى عنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المؤذن المكي (170 – 250 هـ) ومحمد بن عبد الرحمن المكي المخزومي الملقب بقنبل (195 – 291 هـ).

3 -أبو رويم نافع بن عبد الرحمن الليثي (70 – 199 هـ) وروى عنه عيسى بن مينا المدني الملقب بقالون (120 – 205 هـ) وعثمان بن سعيد المصري الملقب بورش (111 – 197 هـ).

4 -عبد الله بن عامر اليحصبي التابعي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك (28 – 120 هـ)، وروى عنه هشام بن عمار بن نصير القاضي الدمشقي (153 – 245 هـ) وعبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي (173 – 242 هـ).

5 -عاصم بن أبي النجود التابعي الملقب ابن بهدلة (ت 128 هـ) وروى عنه أبو بكر شعبة بن عباس بن سالم الكوفي الأسدي (95 – 193 هـ)، وحفص بن سليمان بن المغيرة البزار الكوفي (91 – 180 هـ).

---

(1) النشر: ابن الجزري، م. س، ص: 37.

(2) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، م. س، ص: 171.

6 -حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات القرشي التيمي (80 – 154 هـ) وروى عنه أبو عمر خلف بن هشام البزار (150 – 229 هـ) وأبو عيسى خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي (ت 220 هـ).

7 -أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي إمام النحاة الكوفيين (ت 189 هـ) وروى عنه أبو الحارث الليث بن خالد المروزي البغدادي (ت 240 هـ)، والدوري الذي روى عن أبي عمرو بن العلاء.

8 -أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي (ت 128، 132 هـ) وروى عنه أبو الحارث عيسى بن ودان المدني (ت 160 هـ) وأبو الربيع سليمان بن مسلم بن حمار المدني (ت 170 هـ).

9 -أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيج الحضرمي البصري (ت 205 – 185 هـ) وروى عنه أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري الملقب رويس (ت 238 هـ) وأبو الحسن روح بن عبد المومن البصري النحوي (ت 234، 235 هـ).

10 - أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي (ت 229 هـ)، وروى عنه أبو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق المروزي البغدادي (ت 286 هـ)، وأبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد (ت 292 هـ)[1]، ويزيد بعضهم أربع قراء على هؤلاء العشرة، ويلحقهم بهم بالرغم من شذوذهم[2]، وهم:

1 -الحسن البصري التابعي المشهور بالزهد (ت 110 هـ).

2 -محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيص شيخ أبي عمرو بن العلاء (ت 123 هـ).

3 -يحي بن المبارك اليزيدي النحوي شيخ الدوري والموسوي (ت 202 هـ).

4 -أبو الفرج محمد بن أحمد الشنوذي (ت 388 هـ).

ومن خلال هذا العرض السريع لمرتكزات التطور والانطلاق، تلك المرتكزات المتمثلة في التقعيد والتقنين، وفي اتساع دائرتي المقرأ والقراء اختلافا وممارسة، يتضح أنه إذا كان التجويد في مرحلة التأسيس والبناء يعتمد لالتزام قواعده وضوابطه معيار الذوق والمشافهة والتلقي، قال ﷺ: ((من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد))[3]، فإنه في مرحلة التطور والانطلاق اعتمد الصورة القرائية والتقعيد الاستقرائي، بالإضافة إلى المشافهة والتلقي، يقول ابن الجزري: "ولا أعلم لبلوغ النهاية في التجويد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من قم المحسن وقاعدته ترجع إلى كيفية الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف"[4].

---

(1) النشر في القراءات العشر: م. س، ص: 158.

(2) يقول الباقلاني: " وقد أجمع المسلمون على أن هذه القراءات لا يجوز رسمها بين الدفتين ولا يقرأ بها كتاب الله تعالى " الانتصار لنقل القرآن، الباقلاني، ص: 102.

(3) ابن أم عبد: هو عبد الله بن مسعود.

(4) الاتقان في علوم القرآن: السيوطي ج1، ص: 100.

وإذا كانت الاستنباطات والتقنيات والاستخلاصات التقعيدية لاحقت التطور والتشعب في المرحلة الثالثة فقد سار في ظل القواعد والضوابط التي أصبحت علما قائما بذاته في هذه المرحلة.

ثالثا: الانتشار والتشعب:

لقد تجلى الانتشار والتشعب في بعديه الأفقي والرأسي في هذه المرحلة في جملة ظواهر ومرتكزات أهمها:

أ) **المؤلفات والمؤلفون**: لقد عجلت الفتوحات الإسلامية وما صاحبها من دخول الأعاجم في دين الله بجهود العلماء والقراء في هذا السياق، حتى لا يتلاشى الضبط ويتسع الخرق، فشمروا عن ساعد البحث، بغية ضبط وتنقية القراءات، يقول السيوطي: " وأول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام (224 هـ) ثم أحمد بن جبير الكوفي (258 هـ)، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي (282 هـ) صاحب قالون ، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري (310 هـ)، ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الدجوني (324 هـ) ثم أبو بكر بن مجاهد (324 هـ)، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها جامعا ومفردا وموجزا ومسهبا ".

ب) وبالرغم من هذه الحركة الواسعة للتأليف، فإن بلاد المغرب والأندلس لم يصلها شيء من القراءات حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وكان مؤلف كتاب الروضة أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت 429 هـ) هو أول من أدخل القراءات إلى الأندلس، ثم تبعه أبو محمد مكي بن طالب القيسي (ت 437 هـ)، ثم الحافظ أبو عمر عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ)، وفي تلك الفترة رحل من المغرب أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (465 هـ) إلى المشرق مستجمعا القراءات على أئمة القراء حتى انتهى إلى ما وراء النهر، وألف كتابه الكامل الذي جمع 50 قراءة و1459 رواية وطريقة، قال فيه: "وجملة من لقيت في هذا العلم 365 شيخا من آخر المغرب إلى باب فرغانه يمينا وشمالا وجبلا وبحرا"[1].

وقد أقام أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (478 هـ) في مكة بجهد مماثل من خلال كتابه التلخيص الذي ضمنه 1550 رواية وطريقة، وقد كانت ذروة هذا البعد التخصصي والاستقصاء المعرفي مع أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز الأسكندري (ت 629 هـ) في كتابه الجامع الأكبر والبحر الأزخر الذي احتوى 7000 رواية وطريقة.

وكان من نتائج هذه الحركة العلمية الواسعة والزخم المعرفي الكبير أن حددت عبر الدرس والتمحيص أوجه اختلاف القراءات، وفوائد هذه الاختلافات، يقول ابن قتيبة: "وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات، فوجدتها سبعة أوجه:

(1) النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج1، ص: 25.

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة وفي حركة بنائها مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: ﴿ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[سورة هود 78/11] و{أطهرَ لكم}[1].

ثانيها: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها، مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[سورة سبأ 19/34] و{ربنا بَعِّدْ بين أسفارنا}[2].

ثالثها: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، مما يغير معناها، ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾[سورة البقرة 259/2] و{ننشرها}[3].

رابعها: نحو قوله تعالى:﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾[سورة يس 29/36] و{زقية واحدة}.

خامسها: أن يكون الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[سورة الواقعة 29/56] و{طَلْح} [سورة الواقعة 29/56].

سادسها: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾[سورة ق 19/50] و{جاءت سكرة الحق بالموت}.

سابعها: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: {وما عملت أيديهم} و﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾[سورة يس 35/36].

ثم يقرر أن الاختلاف إذا تعلق بالمعنى نوعان:

- اختلاف تغاير وهو الوارد في القرآن، ويجوز.
- اختلاف تضاد و لم يرد في القرآن إلا في باب الأمر والنهي والناسخ والمنسوخ[4].

وقد اتفق أصحاب هذا العلم عبر المعايشة والتتبع أن للاختلاف في القراءات الصحيحة فوائد تنحصر في:

---

(1) سورة هود، الآية: 78.

(2) سورة سبأ، الآية: 17.

(3) سورة البقرة، الآية: 259.

(4) تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص: 28 – 32.

1 -الدلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف، مع كونه على هذه الأوجه المتعددة.

2 -التخفيف على الأمة وتسهيل القراءة عليها.

3 -إعجاز القرآن، حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾[سورة المائدة 6/5].

4 -بيان ما يحتمل أن يكون مجملا في قراءة أخرى، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾[سورة البقرة 222/2] و{يطّهرن}. فقراءة التشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف، وقد تتبع العلماء علاوة على هذا بدقة الطرق والروايات التي شكلت مجاري القرآن العظيم عبر الصدور والكتب، فنرصد منها -كمثال على تنامي الانتشار والتشعب- الأسانيد والروايات المتصلة بالقراءات العشر الصحيحة، فنقول:

ب) الأسانيد والروايات أو الطرق والعنعنات :

إننا بهذا السرد التتبعي، سنقوم بعملية هي عبارة عن جملة من الخطوط البيانية التعريفية، تتبع الأفراد بصورة تنازلية:

1 -نافع أقرأ ورشا وقالون وأخذ عن الأول (ورش) الأزرق، الإصبهاني، اللذين أخذ عنهما بالترتيب: إسماعيل النحاس، وابن سيف، فابن جعفر، والمطوعي، وأخذ عن الثاني (قالون) أبو نشيط، والحلواني، اللذين أخذ عنهما بالتوالي: ابن يوبان، والقزار بواسطة أبي بكر بن الأشعث، فابن أبي مهران وجعفر بن محمد.

2 -ابن كثير، لقد أخذ عنه البزي وقنبل – كما رأينا – وأخذ عن الأول (البزي) أبو ربيعة، وابن الحباب، اللذين أخذ عنهما بالترتيب: النقاش، وابن بنان، فأبي صلاح وعبد الواحد بن عمر، وأخذ عن الثاني (قنبل) ابن مجاهد، وابن شنبوذة، اللذين أخذ عنهما بالترتيب: السامري، وصالح، فالقاضي أبي الفرج والشطوي.

3 -أبو عمرو بن العلاء، روى عنه الدوري والسوسي بواسطة اليزيدي، وأخذ الطريقة عن الأول (الدوري) أبو الزرعاء، وابن فرح، اللذين أخذ عنهما الطريقة بالترتيب: ابن مجاهد والمعدل، فابن أبي بلال والمطوعي، وأخذ عن الثاني (السوسي) ابن جرير، وابن جمهور، اللذين أخذ عنهما بالترتيب: عبد الله بن الحسين وابن حبش فالشذائي والشنبوذي.

4 -ابن عامر، روى عنه عشان وابن ذكوان بواسطة أصحابهما، وأخذ الطريقة عن الأول (هشام) الحلواني والداجوني بواسطة أصحابه، وأخذ عن هذين بالترتيب ابن عبدان والجمال، فزيد بن علي والشذائي، وأخذ عن الثاني (ابن ذكوان) الأخفش والصوري، اللذين أخذ عنهما بالترتيب: النقاش وابن الأخرم، فالرملي والمطوعي

5 -عاصم، وروى عنه أبو بكر شعبة وحفص، وأخذ الطريقة عن الأول (شعبة) يحيى بن آدم، والعليمي، اللذين أخذ عنهما بالترتيب: شعيب وأبو حمدون، فابن خليع والرزاز بواسطة أبي بكر الواسطي، وأخذ عن الثاني (حفص) عبيد الصباح وعمر بن الصباح، اللذين أخذ عنهما بالترتيب: أبو الحسن الهاشمي وأبو طاهر بواسطة الأشناني، فالفيل وزرعان.

6 -حمزة، روى عنه خلف وخلاد بواسطة سليم، وأخذ طريقة الأول (خلف) ابن عثمان وابن مقسم وابن صلاح والمطوعي بواسطة إدريس، وأخذ طريقة الثاني (خلاد) ابن شاذان وابن الهيثم والوزان والطلحي.

7 -الكسائي، وروى عنه أبو الحارث والدوري، وأخذ طريقة الأول (أبو الحارث) محمد بن يحيى، وسلمة بن عاصم، اللذين أخذ عنهما بالترتيب البطي والقنطري، فثعلب وابن الفرج، وأخذ عن الثاني (الدوري) جعفر النصبي وابن عثمان الضرير اللذين أخذ عنهما بالترتيب: ابن الحلندا، وابن ديزويه، فأبو عثمان وابن أبي هاشم والشذائي.

8 -أب وجعفر، وروى عنه عيسى بن وردان، وسليمان بن جماز، وأخذ طريقة الأول (عيسى) الفضل بن شاذان وهبة الله بن جعفر بواسطة أصحابهما، وأخذ عن هذين بالترتيب: شبيب وابن هارون بواسطة أصحابه، فالحنبلي والحمامي، وأخذ عن الثاني (سليمان) أبو أيوب الهاشمي والدوري بواسطة إسماعيل بن جعفر، وأخذ عن هذين بالترتيب: ابن زريق والأزرق الجمال، فابن النفاخ وابن نهشل.

9 -يعقوب روى عنه رويس، وروح، وأخذ طريقة الأول (رويس) النخاس وأبو الطيب وابن مقسم والجوهري بواسطة التمار، وأخذ عن الثاني (روح) ابن وهب والزبيري الذين أخذ عنهما بالترتيب: المعدل وحمزة بن علي فغلام بن شنبوذ وابن حيشان.

10 - خلف، وروى عنه الوراق وإدريس الحداد، وأخذ طريقة الأول (الوراق) السوسنجردي وبكر بن شاذان، بواسطة ابن أبي عمر ومحمد بن أبي إسحاق الوراق والبرماطي، وأخذ عن الثاني (إدريس) الشطي والمطوعي وابن بوبان والقطيعي[1].

ونظرة متتبعة للأطوار والمراحل التي مر بها التجويد والمقرأ منذ تأسيسه إلى تطوره إلى انتشاره وتشعبه، تكشف أن أمر القراءات يمكن حصره والتعقيب عليه في مستوياته التالية:

1 -ما يتصل بلغات العرب وأحرفها كالإمالة والإشمام والترقيق والتفخيم، وغير ذلك مما نطقته القبائل و لم تقو ألسنتها على غيره، وقد يتنزل حديث نزول القرآن على سبعة أحرف في هذا الإطار، وقد كان هذا التسيير والتوسع رخصة للعرب يوم كان من العسير عليهم تلاوة القرآن بلغة قريش، ولكن تيسر الحفظ وفشو الضبط وتعلم القراءة والكتابة ربما كان كافيا

(1) النشر في القراءات العشر: ابن الجزري مج1، ص: 54.

لنسخ هذه الرخصة، ويرى الطحاوي والطبري أنه لا سبيل لاستعمال هذه الـــرخص بعـــد توحيد المسلمين على المصحف الإمام[1].

2 -ما يتصل برسم المصحف وبقائه فترة غير منقوط ولا مشكول إلى أن تجرد لذلك أبو الأسود الدؤلي، فالخليل بن أحمد الفراهيدي، واستكمل الأمر في زمن عبد الملك الحجـــاج، الـــذي كلف يحيى بن يعمر، والحسن البصري بالتنقيط والتشكيل في صورته الأخيرة.

وقد أفرط القراء في تأويلات، تحمل الكلمات عشرين أو ثلاثين وجها، حتى بلغت طرق القراءات العشر وحدها 980 طريقة، فقد بالغوا وأسرفوا في الاجتهاد.

وقد نقد هذا المنحى جماعة استخدمت الأدلة البينة والحجة الدامغة، منهم الزمخشري وابن قتيبة.

3 -ما يتصل بإحلال كلمة مكان أخرى أو تقديم كلمة على كلمة، أو زيادة أو نقصان، ومـــا أظن هذه مسألة تذكر بعد أن أصبح في أيدينا المصحف الإمام.

رأينا أن علم التجويد وفن المقرأ تأسس واستوى على عوده وأخرج شطأه في بلاد المشـــرق أولا، والمغرب ثانيا، بعد أن استكمل حيثياته، وصنف أبوابه، وضبط قواعده، ونظم قوانينه، وخـــرج القراء والرواة على قراءات تلتزم شروط الصحة والقبول، فمتى وصلت حركة التجويد هـــذه إلى موريتانيا لتستقر في ربوعها؟

(1) تاريخ القرآن: إبراهيم الأبياري م ز س، ص: 143.

الفصل الثاني: موريتانيا وحركة التجويد

إن حركة التجويد في موريتانيا خضعت لنفس الشروط والظروف التي خضعت لها الحركة الفكرية والعلمية بوجه عام، فبالرغم من قيام دولة إسلامية صنهاجية في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري، تعاقب عليها زعماء من لمتونه واكداله ومسوفه جاهد بعضهم[1] لنشر الإسلام وبناء المساجد والمدارس وتعليم الدين، وبالرغم من تأسيس دولة المرابطين سنة 426 هـ على يد الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي (ت 451 هـ) الذي أنشأ رباطا[2]، ربى فيه وعلم ألف رجل حملوا راية الإسلام[3]، وبالرغم من أن هذه الجهود اتصلت على يد الإمام الحضرمي (ت 489 هـ)، فإبراهيم الأموي وظهرت مدارس علمية في وقت مبكر كمدرسة وادان 536 هـ وتيشيت 536 هـ وشنقيط[4] 660 هـ، بالرغم من هذه كله، فإن الحركة العلمية والنشاط الثقافي ظلا محكومين بطابع التلقي والمشافهة والحفظ، و لم تظهر الثقافة في شكلها المكتوب والموثق إلا في نهاية القرن 10 الهجري. فمن خلال تتبع واستقراء المصادر والمراجع التي بين أيدينا يتبين أن أول جهد علمي موثق وصل إلينا هو شرح مختصر خليل لمحمد بن أبي بكر المتوفى في نهاية القرن 10 هـ. ومن هنا تكمن صعوبة تحديد بداية وصول علم التجويد والمقرأ إلى موريتانيا كعلم متميز ومستقل، إلا أننا يمكن أن نعتمد جملة من المقاربات التي تتكشف من خلال السياق التاريخي للحركة العلمية والفكرية لنميز بين سلسلة من الأطوار المتلاحقة والمتداخلة شهدتها حركة التجويد، فما هي هذه الأطوار؟ وكيف شكلت معالم رئيسية في حركة التجويد؟

أولا: الوصول والاستقرار:

1-البداية التاريخية:

إننا نستطيع أن نجزم أن البدايات الأولى لهذا العلم وصلت إلى المنطقة مع وصول الإسلام إليها على يد حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع في حملته على أوداغوست سنة 116 هـ، ذلك أن القرآن ظل يتصدر الفتح الإسلامي في أي منطقة يصل إليها، بحكم توقف مقتضيات الإسلام عليه، فالصلاة وهي الركن الثاني من أركان الإسلام لابد فيها من قراءة القرآن، يقول ﷺ: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب))[5]. وهذا المطلب يبدو أنه كان حاضرا في ذهنية الداخلين في الإسلام، ففي شكوى يحيى بن

---

(1) كالأمير ترسين اللمتوني والأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي.

(2) يعرف هذا المكان اليوم بتيدره، وهو جزيرة في المحيط الأطلسي، تبعد 60 كلم غربي انواكشوط، ويرى الأمين نياس أن الرباط يقع في منطقة اندر وأنه كان يسمى دار السلا، فحرفه الناس.

(3) المنارة والرباط: الخليل النحوي، تونس 1987 م، ص: 64.

(4) حياة موريتانيا: الخليل النحوي، تونس 1987م، ص: 64.

(5) البخاري عن طريق منهاج المسلم، أبو بكر الجزائري، ص: 194.

إبراهيم الكدالي لأبي عمران الفاسي من حالة قومه نجد الإحساس بالصدارة التي يحتلها القرآن قويا وعميقا، يقول: " إننا في الصحراء منقطعون، لا يصل إلينا إلا بعض التجار، حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء، وفينا أقوام يحرضون على تعلم القرآن، ويرغبون في الفقه والدين لو وجدوا إلى ذلك سبيلا "[1].

والأمر هنا لا يعدو كونه مسلمة بديهية، إذ أن المعارف والعلوم الإسلامية برمتها لا تفهم ولا تتأسس إلا في ضوء النص القرآني، الذي لا يمكن أن ينفك أو ينفصل عن ملازمة التجويد، ومن هنا نستطيع أن نقرر أن كافة الذين أخذوا بنصيب من المعارف الإسلامية مهما كانت طبيعة تخصصهم هم قراء في درجة معينة من سلم التجويد والمقرأ، كما أن مختلف المدارس العلمية هي مدارس قرآنية ولو في أضيق زاوية، خاصة أننا نعلم أن التقليد الأصيل في التعليم الإسلامي هو البدأ بتعليم الصبية القرآن العظيم نصا ورسما وتجويدا.

إلا أن هذا الوجود التابع والموازي لا يعطي صورة حقيقية عن حركة علم متميز له قواعده وأسسه ومرتكزاته ومعالمه، بل إن أعلى ما يقدمه شذرات متفرقة، وإشارات عابرة لا تقوى على رسم الخط البياني الذي يفصل ويجلي خطوات النمو واتجاه الحركة.

فما هي البداية الفعلية إذن لوصول هذا العلم إلى موريتانيا؟

إن نظرة فاحصة إلى الرحلات العلمية والإجازات، وإلى الكتب المعتمدة في بلاد شنقيط تبين أن الرافد المغربي أولا، والرافد المصري ثانيا هما رافدا الثقافة الموريتانية، فحسب المختار بن حامدن وصل إلى موريتانيا من مؤلفات مصرية اعتمدت في الثقافة الموريتانية ما يربو على 65 مؤلفا مصريا، وأما بالنسبة للرافد المغربي الأندلسي فإن النهضة الثقافية في بلاد شنقيط يرجعها البعض[2] إلى الدور الذي لعبه المسلمون النازحون من الأندلس بعد سقوط غرناطة في أيدي الأسبان، وتكاد مصادر الثقافة الموريتانية تكون هي نفسها مصادر الثقافة المغربية، بلا زيادة ولا نقصان، فالمذهب مالكي ، والعقيدة أشعرية، والقراءة نافعية، والتصوف جنيدي، والفقه سحنوني وقاسمي. ...

وإيضاحا لهذا الطابع المغربي في الثقافة الموريتانية نجد تطابقا في المصنفات المتداولة: ككتب الشاطبي، والداني في القراءات والتجويد، وكتب ابن العربي والقرطبي وابن عطية في التفسير. ..

وما دامت بلاد المغرب تشكل الرافد الأساسي والمعبر الرئيسي للثقافة الموريتانية، فإن وصول علم التجويد وفن المقرأ سيأتي متأخرا زمنيا عن استقرار هذه العلوم في بلاد المغرب، بعد دخولها على يد أبي عمر[3] أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت 429 هـ)، ثم أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ)، ثم

---

(1) المنارة والرباط: الخليل النحوي، م. س، ص: 64.

(2) أحمد بن الطلبة: مساهمة الموريتانيين في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، بحث في ندوة سبل دعم التضامن والتعاون العربي الإفريقي في الإطار الإسلامي بجامعة تونس 27 / 12 / 1985 م.

(3) كانت القراءة الشائعة في المغرب قبل صدر المائة الرابعة للهجرة قراءة حمزة حتى مجيء ابن خيرون، فقراءة نافع من رواية ورش عن طريق الأزرق. تحقيق: وقف الهبطي، دحسن وجاج، مطبعة الإصلاح، ط: 1، ص: 90.

الحافظ أبو عمر عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ)[1]. وعلى هذا فإن البداية الفعلية هي وصول تبصرة مكي بن أبي الطالب القيسي في القراءات على يد الإمام الحضرمي الذي يبدو أن وفاته خلفت فراغا في القراءات عبر عنه أحد أمراء لمتونه في القرن 9 هـ في مكاتبات بينه وبين الإمام السيوطي شكى فيها من إهمال الناس للقراءات[2]، إلا أن الإجازات المكتوبة والموثقة لم تنتشر إلا بعد قدوم الشريف بن مولاي الزين الشنقيطي في القرن 11 هـ، ورجوع سيدي عبد الله بن سيدي ببكر شيخ القرآن التنواجيوي (ت 1145 هـ) الذي تمر به جل الأسانيد من الحج، حيث مر بسجلماسة، فأجازه قطبها الشيخ سيد أحمد الحبيب بإجازة عبد الرحمن القاضي[3] الذي تمر به كافة أسانيد قراءة نافع في موريتانيا، يقول البناني ولد أحمد جدو العلوي: " وأول من جاء بالقراءات السبع أفرادا: الشريف مولاي الزين الشنقيطي في القرن 11هـ، ثم جاء بها سيدي عبد الله التنواجيوي بالجمع[4]. والشيء الملاحظ أن هذا العلم ظل يدرس بوصفه فرعا من فروع علم القرآن، إذ أن الذين اهتموا به وتوجهوا إلى التخصص فيه شكل جزءا من اهتمامهم العام بعلوم القرآن كلها، وهذا ليس غريبا في ظل ظاهرة الموسوعية التي عرفت عند الموريتانيين، إلا أنه يحتم التعامل مع الموضوع من هذا المنظار، خاصة أن المدارس القرآنية كانت هي الأخرى في الغالب الأعم، إذا استثنينا بعض المدارس القرآنية في الحوض والعصابة، مدارس تابعة، أي أنها تمثل خلايا علمية ضمن نظام المحظرة العام فيما عدا مرحلة الكتاتيب القرآنية التي تقف عند حدود تحفيظ النص القرآني.

2-أهم المتون المدرسة في مرحلة الاستقرار: يقول المختار بن حامدن: " لقد كان القرآن وتجويده عندهم بحرف نافع ورواية ورش عنه أكثر انتشارا من رواية قالون، على أنه اشتهر منهم جماعة من القراء برواية قالون، بل بالقراءات السبع بل بالعشر "[5]. وهذا الاتجاه يفهم في سياق أنهم محكومون بنصوص ومتون متداولة، لا يمكنهم الخروج عليها، وبالتالي فإن مضامينها هي التي تحدد الوجهة القرائية لمن يصدرون عنها، وقد كان أشهر هذه الكتب:

1 -نظم الدرر اللوامع لعلي بن محمد بن الحسين الرباطي المعروف بابن بري (1073 هـ).

2 -القصيدة اللامية المسماة بالشاطبية في القراءات لأبي القاسم الشاطبي (ت 590 هـ).

---

(1) النشر ابن الجزري، ص: 34.

(2) الحاوي على الفتاوى: السيوطي.

(3) حياة موريتانيا: المختار بن حامدن، ج2، ص: 45.

(4) طرد الدخيل عن حروف التنزيل: عبد الله بن إمام.

(5) حياة موريتانيا: المختار بن حامدن ج2، ص: 37.

3 -المقدمة الجزولية في التجويد لمحمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري (ت 833 هـ).

4 -نظم الشوشاوي في القراءات ورسالة للشوشاوي كذلك.

ومن خلال استعراضنا لهذه المتون التي ظلت موضوع درس وحفظ وتحليل وبناء عبر الشروح والأنظام، نخرج بملاحظة أساسية، هي أن التأليف الموريتاني تأخر عن مصاف التدريس في المرحلة الأولى على الأقل، فهل نجم ذلك عن فقر في التأليف ، أم أنه تكريس لظاهرة التقليد؟

3- الأداء:

لقد ظل أداء القرآن في موريتانيا يخضع في الغالب الأعم لروايتي ورش وقالون عن نافع، وقد استقصى القراء أحكام التجويد المتعلقة بهاتين الروايتين عبر المشافهة والتلقين عن الأشياخ المباشرين، بشكل يستبين معه النطق، وتتضح من خلاله طبيعة الصوت وصفة الحركة وكيفية الوقف وطبيعة البداية، فهذا الاستقصاء الذي تناول مختلف الأبواب والتفريعات، وتطرق إلى كافة الجزئيات والتتمات سيؤدي – كما سنرى – إلى اختلافات صوتية، عمقت البعد التخصصي في هذا العلم، والشيء الجدير بالملاحظة أن هذا التخصص والاستقصاء والتعمق في فن التجويد والمقرأ لم يشكل عائقا في سبيل تقديم هذه العلوم بصورة وظيفية عملية، ذلك أن الصبية الذين يوجهون إلى دراسة القرآن في بداية عهدهم يتلقون النص القرآني المحكوم بضوابط وقواعد نافع في التجويد عبر التلقين والتسميع فيخرجون من مدارسهم القرآنية، وقد تعودوا ممارسة علم التجويد دون أن يكون لهم أدنى إلمام نظري بهذا العلم، مما يكرس سيادة المنهج العملي الذي يدعو إليه الإسلام في مختلف معارفه[1]. ولكي نكشف عن هذا الأداء في بعديه الصوري والمعنوي لابد أن نقف عند أهم الموضوعات التي شكلت مادة هذا الأداء، واعتمدت كأساس ثابت لاستحقاق الإجازة والانتماء إلى سلسلة الرواة، فنقول هذه الموضوعات أهمها:

أ) **رسم المصحف**: وأهم القواعد التي تناولوها فيه هي[2]:

1 -الحذف: وخلاصته أن الألف تحذف من ياء النداء، وهاء التعيين، والنون المتصلة بالضمير، ولفظ الجلالة، والرحمن، وسبحن، وبعد عين نحو: " خلف "، ومن كل مثنى وضميره، ومن كل جمع تصحيح لمؤنث أو مذكر، وكل جمع على وزن مفاعل، وكل عدد، وفي البسملة، والأمر من سأل، وتحذف الياء إذا وقعت مع أخرى ومن المنقوص ومن كلمات " أطيعون، اتقون، ارهبون ". وتحذف الواو إذا وقعت مع أخرى واللام إذا أدغمت في مثلها.

(1) حياة موريتانيا: المختار بن حامدن: المرجع السابق، ص: 141.

(2) الجوهر المنظم في رسم القرآن المعظم: أحمد بن محمد الحاجي، مخطوط.

2 -الزيادة: وخلاصتها أن الألف تزاد بعد الواو الأخيرة، وبعد الهمزة المرسومة واوا، وفي مائة ومائتين، وتزاد الياء في كلمات: " نبإي المرسلين، وآلاءي، وآناءي، بأيدي "، ويزاد الواو في " أولى وأولوا، وأولاء، وأولئك، وأولات ".

3 -الهمزة: وخلاصة قاعدتها أنها تكتب بحركة حرف ما قبلها إن كانت ساكنة، وعلى أقوى الحركات إن كانت متحركة، وعلى الألف إن كانت في أول الكلمة مطلقا أو بعد حرف زائد.

4 -البدل: وخلاصته أن الألف تبدل واوا في كلمات مثل: " الصلوة، والربو، والزكوة، والحيوة، والغدوة، والنجوة، ومشكوة، ومنوة ".

وترسم ياء في كلمات: " ياسفى، ياحسرتى، ويتوفى "، وتبدل ياء في كلمات: " إلى متى، بلى، حتى، لدى، أنى ". وترسم النون ألفا في نون التوكيد المخففة، وتبدل هاء التأنيث تاء في كلمتي: " رحمت، ونعمت " في سورة البقرة وآل عمران، المائدة، إبراهيم، الأعراف، النحل لقمان، فاطر، والطور "، وفي كلمات: " لعنت مع الكذب، ومعصيت الرسول، وشجرت الزقوم، وقرت عين بالإفراد، جنت نعيم بالمزن، وبقيت، وستت " بفاطر والطور، وامرأت، أضيفت إلى زوجها.

5 -الفصل والوصل: وخلاصته أن كلمة (أن) توصل بلا إذا وقعت بعدها إلا في " أن لا يقول على الله إلا الحق، وأن لا ملجأ، وأن لا إله إلا الله ".

وتوصل من بما إذا وقعت بعدها باستثناء " من ما ملكت أيمانكم " في النساء، والروم، والمنافقين.

وتوصل من بمن مطلقا، وتوصل إن بما إذا أتت بعدها باستثناء {**إِن مَّا نُرِيَنَّكَ**} [سورة الرعد 40/13] وتوصل أن بما إذا أتت بعدها، إلا في كلمة: {**أن ما تدعون من دونه الباطل**}. ويوصل لفظ كل بما إذا أتت بعده باستثناء {**كل ما أرادوا**} و{**تترى كل ما جاء أمة**} و{**مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**} [سورة إبراهيم 34/14].

6 -ما فيه قراءتان، وخلاصته أن ما فيه قراءتين يرسم بأحدهما بل وما فيه أكثر يكتب بصورة واحدة ويقرأ بوجوه متعددة.

ب) **أحكام التجويد**: وأهم القواعد التي تناولتها هي:

1 - أحكام المد: وهو إطالة الصوت بحرف من الحروف، وحروفه (ا، و، ي)، وأنواعه: المد الطبيعي، والمد الزائد، وهو الذي يقع بعد حرف المد فيه همز أو سكون، والمدود الزائدة يجب الإشباع في المتصل منها فقط.

2 - أحكام النون الساكنة والتنوين، تظهران مع حروف الحلق وتدغمان في حروف (يرملون)، وتقلبان مع الباء وتخفيان مع بقية الحروف.

3 - أحكام الميم الساكنة والراء واللام، ولا تدغم الأولى إلا مع الياء والميم، وترقق الراء إذا كانت مكسورة أو ساكنة، وما قبلها مكسور، ويفخم اللام إذا كان مفتوحا وقبله (صَ، طَ) أو في لفظ الجلالة مضموما أو مفتوحا ما قبله.

4 - الابتداء والوقف والوصل بشروطها المعروفة.

جـ) مخارج الحروف: الحروف وصفاتها وأهم المواضيع التي تناولتها هي[1]:

أ - مخارج الحروف: وتخرج الحروف من خمسة مواضع:

- الجوف: وتخرج منه حروف المد أو اللين.
- الخيشوم: وتخرج منه الغنة.
- الشفتان: وتخرج من منهما حروف: الياء، الميم، الفاء، الواو.
- الحلق: وتخرج منه الحروف الحلقية (ح، خ، ع، غ، هـ، ء).
- اللسان: ويخرج منه باقي الحروف.

2 -صفات الحروف: لكل حرف تجب خمس صفات، ويمكن أن يزيد إلى سبع:

- الحروف المهموسة (سكت فحثه شخص) وما عداها مجهور.
- الحروف الشديدة (أجد قط بكت)، والمتوسطة (لن عمر) وما عداها رخو.
- الحروف المستعلية (خص ضغط قظ) وما عداها (مستفل).
- الحروف المنطبقة (ص، ض، ط، ظ) وما عداها منفتح.
- الحروف المنذلقة (فر من لب) وما عداها مصمت.
- حروف الصفير وهي (ص، س، ز).
- حروف القلقلة وهي (قطب جد).
- حروف الانحراف وهي (ر، ل).
- حروف اللين وهي (و، ي) الساكنان المفتوح ما قبلهما.
- حروف التفشي (الشين)، وحرف الاستطالة (الضاد)[2].

في ظل هذه الموضوعات واستيحاء منها تشكل فن الأداء في المقرأ الموريتاني، فإلى أي حد خرج التأليف عن هذا الإطار، وإلى أي حد التزم به؟

4- التأليف:

(1) شرح الدرر اللوامع لعلي بن بري: سيدي محمد بن عبد الرحمن السباعي، مخطوط.

(2) نظم في المخارج والصفات: محمد بن محمذن فال بن أحمد فال التندغي، مخطوط.

لقد اتبع الموريتانيون في التأليف نفس المنهج الذي ظل ثابتا ملتزما مهما كان موضوع التـــأليف، فهنـــاك الجمع، والترتيب، والإصلاح، والتتميم أو الاختصار، والشرح، والتفسير[1].

والجدير بالذكر أن التأليف كان جزءا محدودا من العطاء الثقافي بسبب تورع العلماء عنه أحيانا هربا مـــن المباهاة والرياء، وقد راجت على الألسنة عبارتهم المشهورة (من ألف فقد استهدف)، وكفى شاهدا على ما نقول أننا لا نجد ذكرا في تراجم المؤلفين للعلامة يحظيه بن عبد الودود (ت 1335 هـــ) وهو معلمة من معالم القرن 14 هـــ.

إذ شغل عن التأليف بتكوين المؤلفين وتخريج العلماء، وقد احتل القرآن موقعا مركزيا في حركة التـــأليف، فمن بين 15 عالما[2] تراوحت مؤلفاتهم بين 20 و125 مؤلفا نجد تسعة مؤلفين أخذ القـــرآن النصـــيب الأكبر من مؤلفاتهم، ومن بين خمس منظومات تراوح عدد أبياتها[3] بين 4000 و15000 بيت، نجـــد منظومتين في القرآن الكريم.

---

(1) مدخل إلى دراسة البعد الثقافي والاجتماعي والسياسي عند المرابط بابه بن محمذن بن حمدي: محمد بن حامدن، ص: 21 سنة 1981 م.

(2) هؤلاء العلماء حسب الخليل النحوي هم:

1- إبراهيم بن أمانة الله اللمتوني أكثر من 20 كتابا.
2- أحمد الصغير التيشيتي أكثر من 30 =
3- أحمد بن محمد الحاجي أكثر من 30 =
4- سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم = = = =
5- الشيخ سيد المختار الكنتي = = = =
6- الشيخ سيديا الكبير = = = =
7- محمد الأمين بن أحمد زيدان = = = =
8- محمد مولود بن أحمد فال = = = =
9- محمد حبيب الله بن ما يأبى = = = =
10- عبد الله بن الحاج حماه الله = = 45 =
11- محمد يحيى الولاتي = = = =
12- محمد يحيى بن سليمة = = 75 =
13- المختار السالم بن علي = = 100 =
14- الشيخ ماء العينين = = 125 =
15- الشيخ محمد المامي = = 125 =

(3) هذه المنظومات هي:

1 -نظم الشيخ أحمدو بن أحمذي في تفسير القرآن 15000 بيت.
2 -الفردوس في الفقه لإبراهيم بن أمانة الله 12000 بيت.
3 -الخراج الثاني في عقد خليل الشيخ محمد المامي 10000 بيت.

واستعراضا بسيطا لعدد المنظومات التي ألفها الموريتانيون يبين أن القرآن يحتل الرتبة الثالثة، فنظرة إلى عموم المؤلفين يمكن الخروج منها بأن الموريتانيين ألفوا في:

1 -التصوف 120 نظما.

2 -السيرة 75 نظما.

3 -القرآن 66 نظما.

4 -المنطق والحيل 43 نظما.

5 -النحو 35 نظما.

6 -الحديث 26 نظما.

7 -الأدب 23 نظما.

8 -اللغة 15 نظما.

9 -الصرف 12 نظما.

10 - تلخيصات وشروحات واستدراكات 12 نظما.

11 - الحساب 10 أنظام.

12 - المنوعات 6 أنظام.

وما دام القرآن يحتل هذه الصدارة في الانتاج الثقافي المكتوب والموثق، فإننا سنكتفي بأخذ نماذج من المؤلفين والمؤلفات تكشف لنا حركة علم التجويد في بعديه الأفقي والعمودي، أي على مستوى الانتشار والتركيز:

أ) **المؤلفات:** لقد تناول المؤلفون في التجويد مختلف علوم القرآن من ترتيب السور والآيات، إلى أسباب النزول وتفسير المبهم وخواص الآيات والكلمات والقراءات والقراء وغريب القرآن والناسخ والمنسوخ، إلى متجانس القرآن وتصريفه وإعرابه، إلى علم التجويد، فمخارج الحروف وصفاتها.

ويمكن أن نحصي في هذا المجال 120 مؤلفا، تعود 100 منها إلى القرن 14 هـ، إذ أننا إذا استثنينا الإمام الحضرمي نجد أن المصنفات العلمية ظهرت في القرن 10 هـ، وبلغت أشدها في القرن 13 هـ، وانتهت إلى مداها في القرن 14 هـ، حيث بدأت تتقهقر[1].

ب) **المؤلفون:** والملاحظة البارزة لدى المؤلفين أنهم عاشوا جلهم في القرن 14 هـ وبداية الـ 15 هـ، أي أن المؤلفات القرآنية عرفت نموا طرديا بالنسبة لحركة

---

4 -نظم غريب لغة القرآن لمحمد بن أحمد زيدان 5000 بيت.

5 -الوسيلة في الفرائض لمحمد مبارك اللمتوني 4000 بيت.

(1) المنارة والرباط: الخليل النحوي، م. س، ص: 228، وحياة موريتانيا: المختار بن حامدن، م. س ص: 43.

الزمن، حدثت فيه طفرة ملحوظة في الانتقال من القرن 12 إلى 13 هـــ، ولهـذا فإننا سنعتبر كل قرن طبقة متميزة من المؤلفين على أن نعطي نماذج فقط من الطبقـة الثالثة والرابعة، نظرا لصعوبة الاستقصاء في هاتين الطبقتين وما يتطلبه من إسهاب:

1 - الطبقة الأولى:

القرن 12 هـ: لا تسعفنا المصادر في هذه الفترة بأكثر من ثلاثة مؤلفين هم:

- أجفغ عبد الله الديماني (1101 هـ) من مؤلفاته: مورد الظمآن في الحذف – المورد الصغير في علوم القرآن – مؤلف في خط المصحف.
- محمد اليدالي الديماني (1166 هـ) مؤلفاته: الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز – مورد الظمآن في محذوف القرآن.
- أجفغ انجبنان الألفغي الشمشوي (ت نهاية ق 12هـ) مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم.

2 - الطبقة الثانية:

القرن 13هـ: وبالرغم من الطفرة التي حدثت والقفزة النوعية التي عرفها التأليف في هذا المدى الزمني، فإن المراجع لا توفر لحد الساعة أكثر من 16 مؤلفا في هذه المرحلة، وهم على التوالي:

- محمذن بن حبيب الله (المجيدري بن حب الله) اليعقوبي (ت 120 هـ) مؤلفاته: الجوهر المنظوم في ذكر ما حذف من المرسوم – مؤلف في علوم القرآن.
- عبد الله بن الحاج حماه الله الغلاوي (1209 هـ) مؤلفاته: تأليف في القراءات السبع – منظومة في المتشابه من القرآن – شرح نظم الدرر اللوامع.
- الطالب عبد الله بن الحاج محمد الرفيق العلوشي (ت 1220 هـ) مؤلفاته: تأليف في علوم القرآن يسمى البدر الساطع.
- الشيخ سيد المختار الكنتي (ت 1226 هـ) مؤلفاته: تفسير البسملة – تفسير الفاتحة.
- حرمة بن عبد الجليل العلوي (ت 1243 هـ) مؤلفاته: شرح على منظومة ابن بري.
- أحمد بن محمد الحاجي (ت 1251 هـ) مؤلفاته: الوسيلة في المحمول – التنزيل في القرآن – المنيف في الرسم وشرحة – المقنع في القرآن – القول المعد فيما في الرسم لا اللفظ يعد – قراءة قالون – شرح الشاطبية

في القراءات – الجوهر المنظم في رسم الكتاب المعظم – شرحه الجامع المقدم – جوهرة الإملاء فيما يخفى من الإملاء – تحفة الوليد في أحكام التجويد – تحفة الأصاغر في ذكر ما يخفى من النظائر – الجوهرة في أوقاف القرآن – إيضاح المرام في الرد على جيم الأعجام.

- محمد بن الطالب محمود الإدوعيشي (1257 هـ) مؤلفاته: منظومة في التجويد، إرشاد القارئ في القراءات.
- حبيب الله بن الأمين الشقروي (ت 1270 هـ) مؤلفاته: تفسير القرآن.
- أحمد بن محمد البخاربي بن المعمر التندغي (ت 1277 هـ) مؤلفاته: شرح على مقدمة ابن الجزري.
- الشيخ محمد المامي الشمشوي (ت 1282 هـ) مؤلفاته: نظم تفسير ابن جزي – قصيدة في ترتيب السور المدنية والمكية وناسخها – مكتوب في قرآن الآحاد.
- محمذن فال بن متالي التندغي (ت 1287 هـ) مؤلفاته: صلاح الآخرة والأولى في تفسير القرآن – حكم الهمز في القرآن.
- سيدي محمد بن حبت الغلاوي (ت 1288 هـ) مؤلفاته: نظم ينتصر فيه للجيم المنعقدة.
- محمذن بن الجد البهمي الديماني (1288 هـ) مؤلفاته: فضل القرآن والصلاة على النبي ﷺ.
- عبد الرحمن بن الإمام العلوي (ت 1299 هـ). مؤلفاته: نظم في القراءات السبع.
- الشيخ بن حيت الغلاوي (ت 1299 هـ) مؤلفاته: شرح نظم عبد الرحمن بن الإمام في القراءات السبع.
- محمد عثمان بن أغشممت المجلسي (نهاية ق 13 هـ) مؤلفاته: النفيس الوقاد في ذكر أحكام كتاب الهادي.
- الشيخ محمد بن حنبل الحسني (ق – كذا – 1302 هـ) مؤلفاته: ري الظمآن في تفسير القرآن – مكتوب في حرف الجيم.

3 - الطبقة الثالثة:

(ق 14 هـ): إنه كما أشرنا آنفا نظرا لصعوبة حصر واستقصاء هذه الطبقة فإننا سنختار منها نماذج حسب الأهمية تتحدد كالتالي:

- المختار بن بيدح الديماني (ت 1309 هـ)، مؤلفاته: عطية الوهاب فيما تجانس من الكتاب – محصل الوصول إلى علم المحمول .
- بابه بن محمذ بن حمدي الأحودي (ت 1316 هـ)، مؤلفاته: مشرب الصديان في فهم قواعد رسم القرآن – استظهار الكنوز في إظهار كيفية الرموز – شرح على نظم ابن الجزري، نظم في أسماء السور وشرحه.
- محمذن بن محنض باب بن اعبيد الديماني (ت 1316 هـ) مؤلفاته: رسالة في تسهيل الهمزة، رسالة في الجيم.
- أحمد بن زياد الديماني (ت 1322 هـ) مؤلفاته: تفسير سماه " اللحين المذهب الجامع بين الجلالين، والجمل والذهب " – كتاب في القراءات السبع – تعليق على نظم النوشاوي في القرآن.
- محمد مولود بن محمد فال الموسوي اليعقوبي (ت 1323 هـ) مؤلفاته:

– البشائر في تفسير القرآن العظيم وشرحه.

– مؤلف ما أجمع عليه القراء مع بيان ما اختصت به رواية ورش عن نافع.

– بصائر التالين لكتاب رب العالمين وشرحه – القول السديد في وجوب التجويد.

– المترادف من القرآن العظيم وشرحه – آداب التلاوة وشرحه.

- أحمد بن المامون بن الفكيكي الديماني (ت 1327 هـ) مؤلفاته: منظومة في علوم القرآن – مكتوب في حرف الجيم يحتج به لغير المعقودة.
- عبد الله بن أيبيه الديماني (ت 1328 هـ) مؤلفاته: سلم المعراج في اختصار السراج المنير في تفسير القرآن – تحفة الإخوان في تجويد القرآن. شرح حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي.
- المختار بن المعلي الحسني (1330 هـ) مؤلفاته: نظم في طرق الوحي – نظم في مفهوم القرآن – نظم في النزول – نظم في غريب القرآن.
- محمد يحيى الولاتي (1330 هـ) مؤلفاته: شرح الدرر اللوامع – منظومة في الناسخ والمنسوخ من القرآن وشرحها.
- عبد الله بن محمذ بن مختارنا الحاجي (ت 1331 هـ) مؤلفاته: نظم في التجويد.

– نظم في أحكام الهمز.

– مكتوب في الرد على الجيم المنعقدة.

- محمد احيد بن سيدي عبد الرحمن المسومي (ت 1334 هـ) مؤلفاته:

– نظم ما اختص به قالون عن ورش – شرح حملة سيدي عبد الرحمن المسومي.

- محمذ فال بن محمذن بن احمد بن العاقل الـــديماني (ت 1334 هـــــ) مؤلفاته:

– دمية المحراب فيما للقرآن من تصريف وإعراب – نظم الفواصل – نظم فيما تفرد به نافع بن رويم عن سائر القراء.

- محمد المختار ولد محمد يحيى الولاتي (1352 هـــ) مؤلفاته: شرح نظم عبد الرحمان بن الإمام الغلاوي في القراء.
- محمد يحيى بن سليم (1354 هـــ) مؤلفاتـــه: منظومـــة في الناســـخ والمنسوخ من القرآن.
- حبيب بن الزايد التندغي (ت 1364 هـــ) مؤلفاته: شرح منظومـــة بصائر التالين لمحمد مولود ولد احمد فال – مكتوب في حرب الضـــاد – مكتوب في حرف الجيم.
- محمد حبيب الله بن ما يابي الجكني (ت 1364) مؤلفاته: كتر الطالع – شرح المحتوى الجامع – تحفة المجيد في وجوب التجويد – حلية المعاصم في رواية حفص عن عاصم – تيسير العسير من علوم التفسير.
- أحمد بن محمذن بن محمد الاجودي (ت 1368 هـــ) مؤلفاته: نظم في سور القرآن – نظم في التجويد.
- سيد الغالي بن محمود المجلسي (ن 1370 هـــ) مؤلفاته: نظم في ترجمة نافع وتلاميذه – رسالة في الغنة – مكتوب: " النهل بعد للسع " – نظم الشفع والوتر في القرآن – تأليف في القراءات السبع غير قراءة نـــافع – نظم في الأخذ – نظم في التفريق بين من ظلموا ومن أظلموا – نظـــم في قراءة ابن كثير.
- محمد عبد الله بن محمد بن مولود بن أعشممت المجلســـي (ت 1374 هـــ) مؤلفاته: شرح نظم الدرر اللوامع لان بري في المقـــرأ – شـــرح بصائر التالين لمحمد مولود ولد أحمد فال – شرح داليـــة الألغـــاز لببـــها الديماني.
- محمد المامي بن عبد الله اليعقوبي (ت 1377 هـــ) مؤلفاته: منظومة في متكررات القرآن – نظم في سور القرآن – نظم في الرسم.

- محمد بن آيا الفودي التندغي (ت 1383 هـ): شرح على لامية الشيخ متولي المسماة: ما بالفرش فيما تخالفف فيه حفص وورش – منظومة في ضبط القراء العشرة وشرحها المسمى (بيان الخفيات).
- سيد احمد بن أسمه الديماني (ت 1392 هـ) مؤلفاته:

– الوضع الجديد لفني المخارج والفواصل وما ولاهما من الفواضل والتجويد.
– دليل التيهان في ترتيب السور والأحزاب والأثمان، ذيله برسالة في أن أول الخط النقط.
– رسالة في حرف الجيم (تحذير العامة وأهل الخصوص).

- آب بن اخطورة الجكني (ت 1394 هـ) مؤلفاته:

– أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن.
– منع جواز المجاز في المترل للتعبد والإعجاز.
– إيضاح مذهب الحق في آيات الصفات.
– شرح قصيدة السيوطي في الناسخ والمنسوخ.

- عبد الودود بن حموه الابياري (ت 1395 هـ) مؤلفاته:

– نظم الإشارات في علم القراءات.
– نظم الرقوم في علم الرسوم.
– نظم التنوير في علم التفسير.
– تفسير القرآن بالأحاديث المخرجة في الخمسة الصحاح.
– الرسوخ في الناسخ والمنسوخ.
– تحف الغلمان من طلبة القرآن.
– قراءة نافع وضبط القرآن.
– النظم المصطفى في الذي من الرسم خفى، اختصر به كتابه " الإعلام برسم الصحابة الأعلام ".
– كتاب في الضبط.
– الوسائل في علم الفواصل.
– التكميل الأوفى في شرح المصطفى.

- المختار بن ابلول الحاجي (ت 1396 هـ) مؤلفاته:

– رسالة في حرف الجيم، وحجج المختلفين فيها.
– تحفة الإخوان في أحكام تفسير القرآن (أجاب به محمد الحسن بن احمدو الخديم).

- محمدن بن محمد المحبوبي اليدالي الديماني (ت 1399 هـ) مؤلفاته:

– نظم وشرحه في ما قيل في آية لأستغفرن لك.

– توشيح لنظم محمد العاقب بن ما يابه الجكني الذي أوضح به نظم الطالب عبد الله الجكني المسمى: " المحتوى الجامع في رسم الصحابة وضبط التابع ".

- الطالب عبد الله الجكني، مؤلفاته: المحتوى الجامع في رسم الصحابة وضبط التابع – شرح على هذا النظم – نظم في المتشابه من كلمات القرآن.
- الشيخ بن حامن الغلاوي، مؤلفاته: ملاحن القراء – رسالة في الانتصار للجيم المنعقدة.

4 - الطبقة الرابعة: (ق 15):

يتعذر الحصر والاستيعاب في هذه الطبقة أكثر من سابقتها بسبب قرب الفاصل الزمني لزمرة من مؤلفيها واستمرار وديمومة حركة التأليف بالنسبة للزمرة الأخرى، ولهذا فإننا سنقتصر على نماذج قليلة تعطي صورة عن التواصل الثقافي وطبيعة العطاء العلمي واتجاهه، فنذكر على التوالي:

- أحمد سالم بن عبد الله بن العالم الحاجي (ت 1401 هـ)، مؤلفاته:

– نظم في مخارج الحروف وأحكام النون الساكنة.

- أحمد بن الشيخ محمد بن أحمذي الحسني (ت 1408 هـ) مؤلفاته:

– البيان لمشكل القرآن نظم طويل يقع في 15 ألف وخمسمائة بيت.

- المختار بن باب الأجودي الجيلي (ت 1408 هـ)، مؤلفاته:

– نظم رسم ما سوى القرآن.

– شرح نظم القول المعد لأحمد بن محمد الحاجي.

– شرح قصائد ابن أنگك في التجويد بالعامية.

- محمبد الأمين (النني) بن عبد الله المجلسي (ت 1411 هـ)، مؤلفاته:

– شرح مقدمة الريان لمحمد بن محمد سالم المجلسي.

– شرح البسملة.

- محمد سالم بن المختار بن المحبوبي (ت 1412 هـ)، مؤلفاته:

– نظم في القراء السبعة والراوين عنهم.

– نظم مسائل في الإتقان للسيوطي.

- أحمد بن محمدا بن حامد بن محنض باب الديماني (ت 1413) مؤلفاته:

– طيب العقار بما انفرد به كل قارئ، نظم طويل يقع فيما يربو على 500 بيت.

- المختار بن حامد (ت 1414 هـ) مؤلفاته:

– نظم في عدد كلا وبل لا في القرآن العظيم.

- محمد المختار بن بلبلاه اليعقوبي (معاصر) مؤلفاته:

- نظم في الناسخ والمنسوخ.
- شرح على الجوهر المنظم لأحمد بن محمد الحاجي.
- نظم في بلاغة القرآن.
- تعليق على لامية الصباغ فيما خالف فيه قالون ورشا.
- طريق القراء في الوقف.

- محمد الحسن بن أحمدو الخديم اليعقوبي (معاصر) مؤلفاته:

- طرة على الجوهر المنطم في رسم القرآن المعظم.
- نظم في التعريف بالقراءات العشر ورواياتهم وطرقهم.
- مجموعة أنظام في تفسير بعض الآيات.

- محمدن بن محمذن فال بن احمد فال التندغي، مؤلفاته:

- نظم في علم التجويد.
- نظم في مخارج الحروف وصفاتها.
- نظم في الناسخ والمنسوخ.
- نظم في المتشابه لفظا.
- نظم في التفسير وبعض الإعراب.

- بداه بن البصيري، مؤلفاته:

- تحفة ذوي الرسوخ لعلم الناسخ والمنسوخ[1].

ونظرة عابرة لهذه الطبقات يتبين من خلالها أن حركة التأليف في العلم وخط النمو صعد بشكل سريع وكبير في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وبدأ ينحدر ابتداء من القرن الخامس عشر على مستوى الكم على الأقل، فإلى أي حد كان هذه النشاط العلمي متميزا على مستوى الكيف؟

ثانيا: التبعية والاستقلال:

إن ظاهرة التقليد والدوران حول النص ظاهرة ميزت الثقافة الموريتانية عبر مراحلها المختلفة، وظل العلماء يحافظون عليها كميزة مهمة للوقوف في وجه الدخيل ورباط وثيق لشد التماسك والوحدة الثقافية مما نجم عنه استقرار أدى إلى نمو الثقافة وتركيزها في جوانب محددة قبل أن يؤدي إلى ركودها، فهل تجلت مظاهر ذلك في حركة التجويد؟ وبأي مستوى من المستويات؟

أ- التبعية أو التقليد:

(1) حياة موريتانيا: المختار بن حامد، ج2، ص45، المنارة والرباط، الخليل النحوي، ص237.

إن استقراء حركة التجويد في موريتانيا يبين أن العلماء الموريتانيين عبر مراحل النهضة الثقافية المختلفة ظلوا محكومين بموضوعات محددة، وطريقة ثابتة في التأليف، تذهب من النص الأصلي، إلى النظم، فالشرح، فالاختصار، فالتعليق، فالاستدراك، لتعود إلى النظم ثانية، وهكذا دواليك، فالبرغم من أهمية الموضوعات التي تناولوها (الرسم، أحكام التجويد، الوقف، القراءات، القراء، مخارج الحروف وصفاتها، الناسخ والمنسوخ، غريب القرآن، التفسير، المتشابه، التنزيل، فضائل القرآن، ترتيب السور وأسماؤها، أحكام القرآن، المترادف، آداب التلاوة، التصريف والإعراب في القرآن، الفواصل، الآحاد والمكررات، مفهوم الوحي، علوم القرآن، مباحث الجيم، والهاء، والضاد، شروح واختصارات وتعاليق على الكتب الوافدة:

ابن بري، الشاطبية، ابن الجزري، الأماني للشاطبي، ألفية المتولي، ولامية الصباغ) فإن هذه الموضوعات ظلت تلاك وتجتر دون أي توسع إلى مواضيع أخرى أو إبداع في طريقة التناول، بالرغم من أن هناك مواضيع عديدة تتعلق بالقرآن لم تجد أدنى التفاتة مثل: (أسماء القرآن وأوصافه، نزول القرآن على سبعة أحرف، قواعد التفسير والتأويل، المحكم والمتشابه، الإعجاز في القرآن، الأمثال والجدل والقصص في القرآن، تاريخ القرآن، الحروف المقطعة في أوائل السور، اللغات في القرآن)، الشيء الذي يجسد مظهرا صارخا من مظاهر التبعية والتقليد هذه المظاهر التي تتجلى أكثر على مستوى البناء والتركيب.

فالتأليف يتجه إلى النظم بصورة مفرطة ويكرر الشروح والتعليقات مرارا في نفس الموضوع، فهو في الغالب الأعم بناء، فهدم، فبناء، فهدم بحيث يخضع الإنتاج العلمي لدورة مفرغة لا نصدر منها إلا بتكريس الجمود والحرفية، وعدم التجاوز أو عدم القدرة على التغيير والإبداع، واستئزال القضايا في منازلها واستيعابها في ظل ظروفها الموضوعية، فنفس البداية التي يبدأ بها النظم عند أصحاب الطبقة الأولى، ونفس العلاج الذي يتبع في تناول القضايا، ونفس الاهتمامات المركزية أثناء صياغة النظم أو الشرح أو التعليق أو الاختصار هي عينها التي يتمسك بها ويلتزم أصحاب الطبقة الرابعة.

ب- الأصالة والاستقلال:

إننا لا نعدم – أحيانا – بعض الابتكارات لكنها خجولة ومرتبكة بحيث لم تشكل كسرا حقيقيا للقاعدة العامة، فسيد الفال بن محمود المجلسي مثلا تناول موضوعا طريفا في القرآن العظيم لم يسبق إليه، وهو التفريق بين من ظلموا ومن أظلموا، لكنه ألزم نفسه النظم وتعقيداته مما أفقد هذا الإبداع جرأته وأصالته.

المختار بن المعلى الحسني تطرق إلى موضوع لم يتناوله غيره وهو مفهوم القرآن، لكنه خضع لنفس الشروط والمعايير التي حكمت سابقه.

وإذا كان الاستقلال ظهر مرة بمعناه الحقيقي، فإنه حالة نادرة تظل معها القاعدة سليمة، وهذا الشذوذ وهذه الندرة مثلها آب بن اخطور في تفسيره أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن وعبد الودود بن حموه الأبياري في تفسير القرآن بالأحاديث المخرجة في الصحاح الخمسة، فقد تجاوز هذان الرجلان الأفق النظري السائد، والآليات المشروعة لينسجا وفقا لأسس وقواعد جديدة، حركتها ثقافة مصدرية ودراسات أصيلة، وإذا أمكننا

أن تستثني من قاعدة التقليد والتبعية شيئا، فإن المباحث الصوتية (الضاد والهاء والجيم) شكلت إثـــارة قويـــة وتحديا قاسيا للذهنية العالمة، فإلى أي حد ساهم هذا التحدي في كسر الطوق والاسترشاد بالجديد؟

الفصل الثالث: التجويد ومباحث الخلاف :

إن المباحث الصوتية للتجويد عرفها العقل العربي الإسلامي مبكرا، فكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى 175 هـ، الذي اشتمل على مباحث صوتية هامة، أخذت أشكالا أقوى ومضامين أوسع وتحريات أدق مع أستاذ النحو سيبويه، الذي شكلت مباحثه مادة للشرح، والتعليق، والمحاكاة خاصة عند قراء، ولغويين أمثال: مكي بن أبي طالب القيس، وأبي عمرو الداني، وابن الجزري، والسيرافي، والزمخشري. .. وذلك قبل أن يطالعنا ابن سيناء برسالته المتميزة في حدوث الأصوات، والتي لم تحظ كما حظيت مباحث سيبويه بالمتابعة والتتلمذ، وفي القرن الرابع عشر الهجري يصبح بين أيدينا كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني، هذا الكتاب الذي تناول علم الأصوات وظل مرجعا هاما إلى أن بدأت الدراسات الاستشراقية بغزو هذا العلم في القرن التاسع عشر حيث ظهرت سنة 1855م دراسة فالين الألماني في أصوات اللغة العربية، وبحث فولارس في نظام الأصوات العربية سنة 1892م، قبل أن يخرج كتابه: لغة الشعب ولغة الكتابة في الجزيرة العربية قديما، وقد شهدت سنة 1934 نشر سلسلة من الفصول في علم التجويد للمسترق ويرتزل [1].

وهذا لايعني أن الظاهرة الصوتية لم يتناولها غر المستشرقين في هذه المرحلة، بل إن المباحث الصوتية الإسلامية شكلت إطارا مرجعيا، ظل حاضرا في ذهنية اللغويين الذين تناولوا هذه الظاهرة من أمثال: تمام حسام، وإبراهيم أنيس، وعبد الصبور شاهين.

و لم تكن الحركة العلمية في موريتانيا حالة شاذة في هذا الاتجاه، بل إن الدراسات الصوتية القرآنية نالت عناية واهتماما خاصين، وتباينت الآراء حول بعض مباحثها ومن بينها المبحث الذي بين أيدينا، فكيف تم ذلك؟

أولاً: مبحث الجيم:

إن الخلاف في مبحث الجيم يعود إلى القرن الثاني عشر الهجري، ففي موسوعة المختار بن حامن ما نصه: " وكان أهل الصحراء جميعا يقرؤون القرآن بالجيم غير المنعقدة كما يقرؤه بها أهل المغرب والجزائر وتونس والشام، وفي صدر القرن الهجري الثاني عشر حج سيدي عبد الله بن سيدي ببكر شيخ القرآن التنواجيوي وفي رجوعه مر بسجلماسة فلقي الشيخ سيد احمد الحبيب قطب سجلماسة، وذكر أنه أجازه في الجيم المنعقدة بإجازة عبد الرحمن بن القاضي، وكتب سيدي عبد الله كتابا في الاحتجاج لها، وأخذ عنه رجال، وكتب في الرد عليه الشيخ سيدي محمد ولد الطالب الحبيب بن أيد الأمين الجكني. .. فكان الناس يسمون المنعقدة بجيم تنواجيو وغير المنعقدة بجيم مسومة "[2].

---

(1) الخلافات الصوتية والقرائية عند بعض الموريتانيين: الدامي ولد اعمر، مذكرة تخرج 1992، ص: 9.

(2) حياة موريتانيا: المختار بن حامدن، الجزء 2، ص: 45.

ونحن هنا سنتناول هذه المبحث الصوتي من جانب [1] وصفي مستعرضين أدلة الفريقين بعد تحديد عدد من الذين تكلموا في طرفي المسألة حتى لا نستبق الأحداث وحتى نرتب زمنيا ترتيبا صحيحا بين التصور والحكم بحيث نتوقف في هذا الفصل كله عند حدود الوصف والتصور والاستعراض ليكون الفصل الموالي ميدانا للتحليل والمفاضلة والحكم.

أ -**أنصار الجيم المغربية** وأدلتهم:

لقد كان سيدي محمد بن الطالب الحبيب بن أيد الأمين الجكني (ت 1151 هـ) أول من فتح باب هذا البحث في رده على التنواجيوي، وتبعه محمد اليدالي الديماني الذي علق على تأليفه، ثم كتب دييجه الكمليلي (ت 1275 هـ) تأليفه " المرعي من السعدان في رد جيم السودان "، وهكذا تواردت النقل والرسائل والمؤلفات في إبطال الجيم المنعقدة ودحض حجج القائلين بها من طرف جمهور من العلماء، نذكر منهم:

- أحمد بن محمد الحاجي (ت 1251 هـ) في مؤلفه: إيضاح المراد في الرد على جيم الأعجام.
- محنض بابه بن اعبيد الديماني (ت 1277 هـ) في فتوى فقهية في الموضوع.
- محمذن بن محنض بابه الديماني (ت 1319 هـ) في رسالته في حرف الجيم.
- أحمد بن المامون الديماني (ت 1327 هـ) في مكتوبه في حرف الجيم.
- حامدن بن محمذن بن محنض باب (ت 1367 هـ) في ثلاث رسائل في حرف الجيم.
- محمد عبد الله بن البشير المالكي (ت 1380 هـ) رسالة في حرف الجيم.
- محمد فال بن محمذن بن أحمد بن العاقل (ت 1334 هـ) في رسالته خطوة فم الحاس.
- حبيب بن الزايد التندغي (ت 1364 هـ) في مكتوبه في حرف الجيم.
- عبد الله بن محمذن بن مختارنا الحاجي (ت 1331 هـ) في مكتوبه في الرد على الجيم المنعقدة.
- المختار بن ابلول الحاجي (ت 1396 هـ) في رسالته في حرف الجيم وحجج المختلفين فيها.

---

(1) الصوت: كيفية تحديث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع، ابن سيناء.

- سيدي أحمد بن اسمه الديماني (ت 1394) في رسالته في حرف الجيم.
- محمد بن حمبل الحسني (ت 1302 هـ) في الرد على المتعصبين مع الحرف السوداني.
- زين العابدين بن أحمد في رسالته في حرف الجيم.
- محمد عالي بن سعيد الشمشوي المعروف بمعي في رسالته في حرف الجيم.
- الشيخ سيد المختار بن الشيخ سيديا في تأليف صغير في حرف الجيم.
- زين بن الجمد اليدالي الديماني في نقلته في حرف الجيم.
- أحمد المقري بن عيني الحسني في تأليف في حرف الجيم.

هؤلاء[1] هم أهم من وقف مع الجيم المغربية، ودافع عنها، ويمكن أن نجمل أهم الأدلة التي ذهبوا إليها فيما يلي:

1 - إجماع المصنفين على أن الاستعلاء ارتفاع اللسان بالحرف إلى الحنك الأعلى، والإطباق إطباق اللسان على الفك الأعلى حتى يبقى صوت الحرف محصورا بين اللسان والفك الأعلى، يبين بجلاء أن الجيم المنعقدة متمكنة منهما كل التمكن ولا عبرة بتفسير الإطباق بأخذ الحنك الأعلى طائفة من اللسان، لأن المفسر عبر بذلك ليدخل في حد الإطباق ما يأخذ الحنك فيه من اللسان الأقل.

أما الجيم المغربية فيظهر فيها الانفتاح، والانسفال، وفيه من الانحصار ما ليس في شريكتيها في المخرج، إلا أن الانحصار مكاني لا زماني، ولهذا فالهاء والفاء رخوتان مع أنهما لا تقبلان التطويل[2].

وقد أجمع العلماء على اشتراك الجيم والياء والشين في المخرج، وعلى انفتاحها وانسفالها، والإجماع خرفه حرام بدليل قوله تعالى: {**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً = 115** } [سورة النساء 115/4].

---

(1) الوسيط: حمد الأمين الشنقيطي، ص514، حياة موريتانيا: المختار بن حامدن، ص143، تحقيق كتاب الرد على المتعطبين – كذا – مع الحرف السوداني لمحمد بن حنبل أحمد بن عبد الله، بحث تخرج 1988، ص13 – الخلافات الصوتية عند بعض القراء الموريتانيين الدامي بن اعمر: بحث تخرج 1992.

(2) الانتصار للجيم العربية: سيدي محمد بن الطالب بن أيد الأمين الجكني، مخطوط، ص8. تحقيق كتاب الرد على المتعصبين للحرف السوداني، م. س، ص36.

2 - نص النووي على أن الجيم متوسطة بين القوة والضعف، لأن فيها من صفات القوة الجهر، والشدة، والقلقلة، ومن صفات الضعف الانسفال، والانفتاح، والترقيق، ومعلوم أن صفة الضعف إن قامت بمحل اكتسب ذلك المحل حالا من قيام صفة الضعف به، لأنه لو لم يكتسب حالا من قيامها به لساوى محل قامت به الصفة محلا لم تقم به، والتالي باطل فالمقدم مثله، ولو سلمنا أن صفات القوة أرجح في الجيم من صفات الضعف لم يذهب ذلك حكم صفات الضعف، فالحكم بالترجيح لا يقطع حكم المرجوح، بل يجب عطفه عليه بحسب مرتبته بدليل قوله ﷺ[1] في الحكم بين سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة رضي الله عنهما: ((الولد للفراش وللعاهر الحجر هو لك يا عبد واحتجبي منه يا سودة)).

ومعلوم أن الجيم إذا ضعفت تأتى مزجها بالشين، والجيم المنعقدة لا تمتزج بالشين حتى يمتزج الماء بالحديد، ولذلك أدغم أبو عمرو البصري {**أَخْرَجَ شَطْأَهُ**} [سورة الفتح 29/48]

3 - أن للحروف أصولا وفروعا تعرف بها، والأصول هي المخارج، والفروع هي الصفات، ومعرفتها بالأصول أولى، لأن الصفات تشكيكية لتفاوت أفرادها فانظر إلى رخاوة الهاء مع عدم جريان الصوت فيها، الذي هو من خواص خروف الشدة وإلى همس الكاف والتاء مع عدم جريان النفس معهما.

ومعرفات الأمور التشكيكية لا تكون مطردة ولا منعكسة لتفاوت أفرادها واختلاف عوارضها، فالحد إذا لم يركب من الذاتيات لم يفد الحقيقة.

ومعلوم أن الجيم والشين والياء مخرجها واحد إن أخل الناطق بصوت أحدها مال إلى صوت الآخر، ومعلوم أن الفرع المستقبح في الجيم وهو جعله كالشين في نحو الاجتهاد والاجتماع إنما نشأ من الإخلال بشدة الجيم حسب السخاوي، ولكن أن يجعل الشين كالجيم في نحو الأشدر والأشرف من الفروع المستحسنة.

4 - إن التفشي في الجيم هي لغة العرب لقول الجعبري الجيم والشين فيهما كشكشة ولا كشكشة في الجيم المنعقدة، ونص المرادي في التسهيل على أن الجيم فيها ثلاث لغات: التفشي وهو لغة العرب ولغتان أخريان

(1) خطوة فم الحاس: رسالة في الجيم، محمد فال بن العاقل، مخطوط ص2.

تشكل المنعقدة إحداهما لأنها سودانية كما نص عليه الحريري في درة الخواص حيث ذكر أن (من أوهام الخواص أنهم يغلظون الجيم أخت الشين وهي لغة سودانية رديئة يتره القرآن عنها)[1] .

5 - لا يقرأ القرآن إلا بالفصيح الخالص من التنافر، والجيم المنعقدة مستثقلة ومتنافرة مع الزاي والتاء والدال (نضجت جلودهم، مزدجر، مزجاة) ومع لفظها إن تكررت (ياجوج وماجوج، أجاجا، زجاجة، الزجاجة)، وقد حرم القسطلاني قراءة القرآن بالجيم الممزوجة بصوت الدال، وحذر منه عبد الرحمن بن القاضي.

6 - ضبط ابن جني وغيره يدل على أن الجيم العربية جيم مغربية، فالشين والجيم متواليان والجيم دون الكاف، وأما المنعقدة فمرتفعة فوق الكاف أي أن ظهر اللسان يرتفع عند النطق بها فتمتزج بالكاف، وهو فرع مستقبح كما نص عليه ابن مالك في التسهيل، حيث ذكر أن بين مخرج الكاف والجيم حرف فرعي تولد من مخرجهما معا وهو مستقبح، والقاعدة أن ما تولد من بين مخرج حرف ومجاوره من الحروف مستقبح مطلقا، ولهذا صحت إمالة الجيم للشين وبالعكس في اللفظ.

والجيم المغربية أصلية، من الحروف التسعة والعشرين الأصلية وتقابلها الحروف الفرعية، يقول ابن مالك في التسهيل: " لهذه الحروف فروع تستحسن وهي الهمزة المسهلة والغنة وألف الإمالة والتفخيم والشين والجيم، وفروع تستقبح وهي كاف كجيم "، وقال السيوطي[2] في المزهر: " إن من اللغات المذمومة الحرف الذي بين القاف والكاف في لغة تميم[3] والذي بين الجيم والكاف في لغة اليمن ".

7 - ما ذكره المحلي في شرح جمع الجوامع من أن جيم ابن جني جيم كالكاف وما قاله أحمد باب التيمبكتي في كفاية المحتاج من أن جيم المزجلدي جيم ككاف وأنها معقودة وفسره الملا علي بن سلطان

---

(1) رسالة في حرف الجيم: الشيخ محمد المامي، مخطوط ص3.

(2) الانتصار لجيم العربية: سيدي محمد بن ايد الأمين الجكني ص5.

(3) قال الشاعر التيمي:

ولا أكول لكدر الكوم قد غليت ولا أكول لباب الدار مغلوك

القارئ وابن الجزري بمخالطة الحبشة والسودان لأهل اليمن يدل على أن الجيم المنعقدة غير العربية الفصيحة.

8 - تواتر أعلام في العرب بالجيم المغربية، فمن المتواتر أن أول من تزوج رسول الله ﷺ أمنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وقد تناقل الرواة بالتواتر اسمها منطوقا بالخاء فالدال فالياء فالجيم المغربية فالتاء، وذلك هو الشأن في حروف جعفر بن أبي طالب أو جابر بن عبد الله. . وما وصلنا من الكتب والشعر يقرؤه الجميع بالجيم المغربية وهذا دليل على صحتها، فالرسول ﷺ أفصح الفصحاء والتواتر قطعي الدلالة.

9 - موافقة الجيم الحسانية لجيم العرب في أمور منها أن في لغة حسان القريبة من العربية والملحونة منها أبدلوا ياء (يعفور – حمار الوحش – ويربوع، واهيف جيما على وفق لغة بعض العرب يقول الراجز:

خالي عويف وأبو علجي المطعمان اللحم بالعشج

وقال آخر:

لاهم إن كنت قبلت حجتج فلا يزال شاحب يأتيك بج

ومنها سبق لسان من لم يتحفظ في نحو اجترحوا واجتمعوا بإبدالها شينا أو شوبها بها، وقد نص السخاوي على أنه تجب المحافظة على بيان الجيم وتخليص لفظه من شائبة الشين لما بينهما من القرب الشيء الذي لا يتوقع في الجيم المنعقدة، ومنها سبق اللسان إلى إبدالها زايا، وهو الذي حذر منه العلماء والأئمة في نحو الرجز وليجزي، وقد أبدل (في لهجة حسان) الجيم زايا في جزء الصوف وسرج الدابة، وهذا الإبدال عرف كذلك عند أبي عطاء السندي وإنما انتقل قوم حسان وأبو عطاء عن الجيم الحسانية بدليل سهولة إبدالها زايا وصعوبة الاحتراز من ذلك إذا جاورت الزاي ومنها أن الفرع الممزوج بالشين والمستقبح هو جيم كثير في اللغة المعروفة في قطرنا بكلام آزناكَ مثل لفظ " آمج " بفتح الهمزة وضم الميم وإسكان الجيم ضعيفة لا حظ لها من قوة الاعتماد وهو اسم البيئر.

10 - الثابت عن ابن القاضي والمروي عنه هو القراءة بالجيم المغربية وإبطال المنعقدة وبها روي عنه سيدي محمد المحجوب الجكني المتوفى 1107 هـ، وقد أخذ عنه العالم النحوي الفقيه محمد بن المختار بن الأعمش

ق12، وقد نص عبد الرحمان بن القاضي على التحذير من موافقة إجازة سيدي عبد الله التنواجيوي الذي أدخل الجيم المنعقدة إلى أرض شنقيط[1] بقوله:

فمخرج الجيم بلا امتراء ... من وسط اللسان للقراء
حافظ على شدها والجهر ... فإن تكررت تأكد فادر
وهو مجهور شديد مستفل ... منفتح منصمت حتما نقل
فيجب النطق به لكل تال ... مباينا به لحرف الدال
وذاك مذهب الإمام الداني ... وسيبويه قال بالبيان
متفق عليه عند العلماء ... شرقا وغربا هكذا نص النص انتمى
ولا تجوز عندنا الرواية ... بغير ذاك قل ولا الدراية
ومن يمل بصوته للدال ... فهو مخبول من الجهال
إياك إياك صويت الدال ... فهو مخالف لكل تال
ومن يقل بذاك فهو باطل ... مخالف للحق قول جاهل
وتجب التوبة مما قد نقل ... لأنه مخالف لما نزل
وهكذا جرى البناء بالسند ... عن خير مهتد هديت للرشد

هذه هي أهم الحجج التي أوردها أنصار الجيم المغربية أو الحسانية.

ب – أنصار الجيم المنعقدة:

وأما أنصار الجيم المنعقدة أو السودانية فرائدهم الأول هو سيدي عبد الله بن سيدي ببكر التنواجيوي (ت 1145 هـ) الذي ذكر أنه أخذ رواية الجيم المنعقدة على الشيخ سيد أحمد الحبيب بإجازة عبد الرحمان بن القاضي فألف كتابا يحتج فيه للجيم المنعقدة ويبطل الجيم المغربية وتبعه في ذلك جمهرة من العلماء نذكر منهم:

- سيدي محمد ولد حبت الغلاوي (ت 1288 هـ) في نظم يرد فيه على اديجه الكمليلي.
- الشيخ بن حامن الغلاوي من خلال رسالة مستقلة ومبحث في كتابه ملاحن القراء.
- محمد بن محمد العيد الذي كتب مكتوبا يحتج فيه للجيم المنعقدة.

(1) تحقيق في حرف الجيم: حامدن بن محمذن بن محنض باب، المطبعة الملكية بالرباط 1974، ص34 وما بعدها.

- محمد فال بن باب العلوي من خلال رسالته في حرف الجيم.
- محمد بن محمذ فال بن أحمد فال التندغي رسالة في حرف الجيم [1].
- محمد بن محمد سالم المحلسي نظم يبين فيه رجوعه من الجيم المغربية إلى المنعقدة.

ويمكن أن تجمل أهل الحجج التي أدلوا بها في:

1 -أن الجيم الحسانية أو المغربية غير شديدة وقد انعقد الإجماع على أن الشدة من صفات الجيم، قال سيبويه في كتابه: " ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والياء " وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجز لك، وقال الدمامي عند قول التسهيل: " ومنها شديدة يجمعها " أجدك قطب " ومعنى الشدة امتناع الصوت أن يجري في الحرف ويعتبر في النطق، فتقول الحج والحق مثلا فلو رمت مد صوتك في القاف والجيم وغيرهما من حروف الشدة لامتنع.

وقال الامباري في أصول اللغة: " ومعنى الشديدة أنها حروف صلبة لا يجري فيها الصوت ولذلك سميت شديدة " وفي الهمع الشدة امتناع الصوت أن يجري في الحرف والفرق بين المهجور والشديد أن المهجور يقوى الاعتماد عليه , والشديد يقوى لزومه في موضعه، فمنع الجري في الجيم ولزومه لموضعه يمنعان دخول الجيم المغربية تحت هذين المعنيين لأنها متفشية. وقال السخاوي:

والجيم إن تضعف أتت ممزوجة بالشين نحو الجيم في المرجان

وقد عد سيبويه الجيم التي كالشين من الحروف المستقبحة وقال إنها لا تستحسن لا في قراءة القرآن ولا في الشعر، والجيم الحسانية يجري فيها الصوت كما يجري في الشين، فالصوت في الجيم لا يقبل الامتداد الزمني بينما التفشي امتداد زمني.

2 -أكثر القراء وأهل الحجاز واليمن والعراق يقرؤون بالمنعقدة وهم مصدرنا في العلوم الشرعية برمتها وعلى رأسها تلاوة القرآن.

3 -أن الجيم المغربية أو الحسانية تنعدم فيها القلقلة ويحضر النفخ بحيث أن الزاي وهو أقوى حرف من حروف النفخ لا يفوقها في ذلك. والاتفاق على أن الجيم ليست منفوخة، يقول سيبويه: " من المشربة حروف إذا وقفت معها خرج معها نظير النفخة و لم تضغط ضغط الأولى وهي: الزاي، الظاء، الذال الضاد " إلى أن قال: والراء نحو الضاد لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا ؛ لأنه يجد منفذا فنسمع نحو النفخة والضاد تجد المنفذ بين الاضراس، و لم يعد من المشربة الجيم ؛ لأنها ليست منفوخة إطلاقا.

---

(1) الرد على المتعصبين مع الحرف السوداني: محمد بن حنبل، م. س، ص12.

4 -أن الجيم المغربية ليست لها أسانيد من الرواية والجيم المنعقدة هي التي تنتشر[1] إجازتها، والقرآن توقيفي بالرواية قبل أن يكون بالدراية، وعلى هذا فقراءة القرآن لا تجوز بغير المنعقدة حسب ابن حامن وغيره.

ثانياً: مبحث الهاء (بين بين):

إذا كان الخلاف في مبحث الجيم عم المنطقة الموريتانية كلها، أي أنه تزاحمت فيه عقول العلماء من مختلف نواحي البلاد وطرحت إشكاليته في مختلف زوايا شنقيط، فإن مبحث الهاء اقتصر على المنطقة الشرقية من البلاد في مقابل اختصاص مبحث الظاء بالمنطقة الجنوبية كما يرى صاحب الوسيط.

وقد قرأ همزة بين بين المسهلة **هاء خالصا** جماعة ألفوا في الموضوع وتابعوا " أكاز " المراكشي في تأليفه في قراءة ابن كثير الذي يقول في أوله: " جرى العمل في فاس ونواحيه بجعل المسهل هاء خالصة " ومن هؤلاء إيدوعيشي في شرحه للدرر اللوامع والطالب عبد الله بن الحاج الرقيق في نظمه لشرح إيدوعيشي حيث يقول:

وما به العمل ذا المسهل يقرأ هاء خالصا ويقبل

والمرابط محمد أحيد[2] بن سيدي عبد الرحمن الذي ينسب إليه قوله:

إياك أن تقرأ بين بينا فإننا في أمرها روينا

في ثامن القرون قرنها انتهى سندنا يصير الهمزة ها

ويمكن أن نجمل أدلة القائلين بالهاء في:

1 -صح عن الداني وابن القاضي جواز صويت الهاء عند نطق همزة بين بين.

2 -روى الشيخ يحيى السملالي أن الهمزة قد تكتب هاء عند بعض الرسام نحو جاه في جاء وهامنوا في آمنوا .

3 -كثرة القارئين بالهاء من العلماء والاتقياء الفضلاء المتفننين في القراءة.

4 -أشهر قراء العصر محمود خليل الحصري يقرأ بالهاء.

5 -ورودها في رواية عن الداني وهو إمام علم القراءات بلا منازع.

6 -إن قراءة الهاء وصلت من طريق ابن القاضي الذي يعتمد عليه في رواية غيرها.

---

(1) حياة موريتانيا: المختار بن حامدن، م. س، ص43.

(2) إرشاد القراء إلى أرجح الأقوال في حكم قراءة بين بين بصوت الهاء: محمد المختار بن أحمد، ثانوية البنين.

7 -أن الرافضين للهاء الخالصة لا يجيدون قراءة بين بين ولا يجدون لها شيخا، والقراءة بدون شيخ ضلال مبين، فالقراءة بالهاء المسندة أولى من القراءة ببين بين اجتهادا.

8 -كثرة إبدال الهمزة هاء في لغة العرب، قال لمرابط بن محمد احيد:

وبـــان مـــن ذا أن مـــن قـــد قـــرأ بهمـــزة التســـهيل بالهـــا مـــا نـــآى
مـــن الصـــواب إذ بهـــاء يبـــدل الهمـــز عنـــدهم كمـــا قـــد نقلـــوا
بقـــولهم هيـــاك في إيـــاك مـــع هرقـــت في أرقـــت هـــاء قـــد وقـــع
وجـــاء في التحصـــيل فالمنـــافع قـــول بـــه المنصـــف منـــا قـــانع
لعـــزو ذا إلى الإمـــام الـــداني وهـــو مـــن فرســـان هـــذا الشـــان

9- العدول عن الهاء وبين بين معا يؤدي إلى تحقيق الهمزة عند من يقرأ بقراءة نافع وهو جمع بين قراءتين، وقيل: إن الجمع بينهما ممنوع وقيل مكروه[1].

10- التيسير في قراءة الهاء والقاعدة الأصولية تقتضي دفع المشقة والحرج وجلب التيسير، ورسول الله ﷺ يقول: ((يسروا ولا تعسروا))[2]، ويقول تعـالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [سورة البقرة 185/2]. وفي نطق بين بين تكلف خصوصا بعد أن نسي الناس قراءتها.

وأما المانعون للقراءة بالهمزة الخالصة فنذكر منهم محمد المختار ولد محمد يحي الولاتي الذي نظم نظمـا في إبطال الهاء الخالصة، ومحمد العاقب بن مايابي الجكني في نظمه **حكم تسهيل الهمزة** في القرآن الكريم. والشيخ عبد الله بن داداه في نظمه (إبطال الهاء الخالص)، ومحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي في نظم له في الموضوع ومحمذن ولد محنض باب في رسالة له في تسهيل الهمزة وابن حامن في كتابه ملاحن القراء ردا على الحاج أكاز المراكشي، وأهم ما انتهوا إليه من أدلة هو:

1 - نفي ثبوتها عن الداني مطلقا، قال الشيخ عبد الله بن داداه[3]:

ونحـــن ننكـــر وجـــود ســـند بالهـــاء للـــداني بـــلا تـــردد
فالمـــدعي بـــذا لـــه قـــد أســـندا يـــأتي علـــى الـــذي ادعـــى يشـــهدا
لا يثبـــت القـــرآن إلا بســـند متصـــل عـــن عـــدد جـــم ورد

(1) نفس المرجع.

(2) منهاج المسلم: أبو بكر الجزائري، دار الفكر ص81.

(3) نظم في الهاء: الشيخ عبد الله بن ولد داداه، مخطوط.

2 - مخالفة هذه القراءة للقياس النحوي، قال أحمد مولود بن أحمد فال:

من جعل الهمزة هاء خالصا ... لحن لحنا مستبينا وعصى

كما به النوري شيخ المقرئين ... صرح في إرشاده للقارئين

وقال محمد المختار بن محمد يحي الولاتي:

أول من قال به أكاز ... وقوله ليس له اعتزاز

لأنه خالف خط المصحف ... والنحو والسند فيه منتف

3 - انقطاع سندها عند الداني على افتراض وصولها إليه، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[1]: " اعلم وفقني الله وإياك أن ما جرى في الأقطار الإفريقية من إبدال الهمزة هاء خالصة من أشنع المنكر وأعظم الباطل. .. وإنما قلت هذا لأن إبدال الهمزة هاء خالصة لم يروه أحد عن رسول الله ﷺ ولم يتزل به جبريل البتة ولم يرو عن صحابي ولم يقرأ به أحد من القراء ولا يجوز بحال من الأحوال ".

4 - لو جاز إبدال همزة ببين بين هاء خالصا لشكلت في المصحف إذ المانع من تشكيلها خلوها من صفات صوت معين باعتبارها صوتا مزدوجا مكونا من صوتين.

5 - إبدال الهمزة هاء خالصا جر إليه مجرد الوهم بسبب سوء فهم شرح الداني لمصطلح التسهيل حيث قال: إن الهمزة لما سهلت بين بين زالت شدتها فشابهت الهاء في ضعفها فلم يفرق من أبدلوا الهمزة هاء خالصا بين التشابه الوصفي والتوافق الصوتي، قال الشيخ عبد الله بن داداه[2]:

إن قال ذو الها قد روى ابن القاضي ... ذا الها وما قد قال فهو ماضي

وقد عزا ما قاله للداني ... وهو القرآن ذو عرفان

فقل له الداني ما إن ذكرا ... إبدال ذي الهمزة لكن فسرا

همزة بين بين فهي قربت ... من مخرج للهاء لذاك ضعفت

فكان فيها حالة الأداء ... ضعف وتلك صفة للهاء

وذلك الضعف هو التسهيل ... لا أنه يعني به التبديل

والوصف غير الصوت والداني ما ... ذكر صوت الهاء فيما رسما

(1) الوسيط: محمد بن الأمين الشنقيطي، م. س، ص375.

(2)نظم في الهاء: الشيخ عبد الله بن ولد داداه، م. س.

وإذا لم يكن هذا التوهم ناشئ عن سوء الفهم لهذا النص الذي ذكرنا قريبا فقد نشأ عن سوء فهم لـــنص ابن القاضي الذي حذف منه مضافا هو " صويت " وناب عنه مضاف إليه هو " الهاء ودليل هذا الحـــذف ما ذكره ابن القاضي في نثره فيحمل النظم على النثر لأنه أضيق وأكثر تعرضا للحذف والبتر، قال الشـــيخ محمد المختار الولاتي [1] :

واغتـــــر مـــــن جهـــــلا إليـــــه مـــــالا ... بـــــنظم نجـــل القاضـــي حـــين قـــالا

واختلفـــــوا بـــــالنطق في التســـــهيل ... فقيـــــل بالهـــــاء بـــــلا تفصـــــيل

مـــــن بعـــــد نثـــــره الـــــذي فيـــــه أبى ... عـــــن ذكـــــر هـــــاء مطلقـــــا فوجبـــــا

أن مضـــــــافا في النظـــــــام حـــــــذفا ... وهـــــو صـــــويت الهـــــا لمـــــا قـــــد عرفـــــا

لاســـــــيما إن كـــــــان في نثـــــــر وفى ... بمقصـــــــد النظـــــــام حيـــــــث عرفـــــــا

ومـــــا يلـــــي المضـــــاف يـــــأتي خلفـــــا ... عنـــــه في الإعـــــراب إذا مـــــا حـــــذفا

وذا الـــــذي أفـــــادني الشـــــيخ الأبـــــر ... شـــــيخ الأداء الأحمـــــدي المعتـــــبر

وصويت الهاء عند النطق ببين بين على سبيل الاستحسان وهو مردود، قال الشيخ محمد بن أحمد محمود [2] مخاطبا ابن الحاج الرقيق: " لقد غره أن ابن القاضي قال: إن الهمزة المسهلة لما صـــارت دون مخرجهـــا في وسط الحلق ووسط الحلق هو موضع الهاء، فلما اجتمعت مع الهاء في مخرج واحد أصبح ممكنا أن يكـــون فيها القليل منه استحسانا من ابن القاضي وأنكر عليه أهل التجويد قاطبة ".

6 - نفي ثبوتها عن السابقين مطلقا يقول محمد المختار الولاتي [3] :

إذ هـــــو خالصـــــا بـــــه لم يقـــــل ... شـــــيخ مـــــن أشـــــياخ الأداء الأول

كالمهـــــدوي والـــــداني والخـــــرازي ... وشـــــيخ مكـــــي ونجـــــل غـــــازي

كـــــذا ابـــــن شـــــنبودة ونجـــــل غليـــــون ... وفـــــارس ابـــــن أحمـــــد المقـــــدمون

والمـــــالقي والشـــــاطبي والحصـــــري ... وابـــــن شـــــريح والســـــخاوي الأشـــــهري

والغـــــير مـــــن أئمـــــة القـــــراء ... لم يـــــرو منـــــهم واحـــــد بالهـــــاء

---

(1) نظم في إبطال الهاء الخالص: محمد المختار الولاتي، مخطوط.

(2) رسالة في إبطال الهاء الخالص: محمد بن أحمد محمود الشنقطي، مخطوط.

(3) نظم في إبطال الهاء الخالص: محمد المختار الولاتي.

وأحمـــــد اللمطـــــي حـــــين نـــــاظرا حفـــــاظ أهـــــل الغـــــرب قـــــال لا أرى

في الهـــــاء غـــــير الخـــــالص التصـــــميم لهـــــم كـــــذا في الرخـــــو حـــــرف الجـــــيم

ويقول محمد بن أحمد محمود الشنقيطي :" ولو كان فيها رواية لذكرها الأقدمون من أهـــل التجويـــد في كتبهم مثل أبي عمر الداني في تفسيره ومكي في تبصرته وابن شريح في كافيته وابـــن ســـفيان في هاديتـــه والمهدون في هدايته وأبي عبد الله عبد الواحد ابن أبي السدال المالقي في دُرره، والأقدمون من أهل التجويد لم ينقل عن أحد منهم أن الهمزة المسهلة يجوز إبدالها هاء خالصا فكيف يجوز العمل به؟ ".

ثالثا: مبحث الضاد:

أ - أنصار الضاد الظائية:

إن مشكلة الضاد لم تتبلور قبل العالمين الكبيرين الشيخ سيديا باب مؤلف كتاب الضاد ومحمد فال بن باب بن أحمد بيب العلوي وإن كان العلامة ابن اغشممت الشنقيطي قد أشار إلى فساد نطق الضاد الموريتانيـــة وقـــد انحصر الخلاف فيها في منطقة القبلة تقريبا، وممن تمسك بأن الضاد الفصيحة هي الشبيهة بالظاء أبو مدين بـــن الشيخ أحمد بن سليمان في تأليفه " أصح الأنباء في التمييز بين الضاد والظاء "[1] والمختار بن الكليب السباعي في تأليفه " الإرشاد في حرف الضاد " وأهم ما ذهب إليه هؤلاء من أدلة هو:

1 -لقد ثبت بالنقول وعن طريق علماء التجويد أن الصواب في لغة العرب الضاد الشبيهة بالظاء المعجمة لا الضاد الشائعة الشبيهة بالطاء أو الدال المهملتين، يقول الجعبري رحمه الله: " ولفظها يضارع لفـــظ الظاء لأنهما أكثر الحروف تناسبا في الصفة "[2]، ويقول ابن القاضي: " فحافظ على الفـــرق بـــين لفظها ولفظ الظاء بإلزامها المخرج وإحراز ما اختصت به من الاستطالة، فلولا اختلاف المخـــرجين وامتياز الضاد بالاستطالة لاشتبه لفظهما لاشتراكهما في الإطباق والجهر "[3].

ويقول صاحب كتابة نهاية القول المفيد قال: " والضاد والظاء المعجمتان اشتركتا جهرا ورخاوة واستعلاء وإطباقا وافترقتا مخرجا وانفردت الضاد بالاستطالة "، وفي المرعشي أن الضاد والظاء متشابهان في الســـمع ولا تفترق الضاد عن الظاء إلا باختلاف المخرج والاستطالة في الضاد "[4].

---

(1) الرد على المتعصبين للحرف السوداني: محمد بن حنبل، م. س، ص13.

(2) كتاب الضاد: الشيخ سيديا باب، م. س، ص15.

(3) تعليق على بصائر التالين: لمحمد مولود بن محمد فال، محمد عبد الله بن محمد مولود، مخطوط.

(4) كتاب الضاد: الشيخ سيديا باب: تحقيق إبراهيم بن يوسف ص2.

2 -إلحاح القراء على صعوبة نطق الضاد وبالتالي ضرورة ترويض الألسنة على التلفظ به لكثرة التعثر في نطقه، فهناك من ينطقه طاء كأهل مصر والمغرب، ومن يمزجه بالدالة ومن يشمه الزاي وهي أنماط كلها خطأ تحرم القراءة بها، ومعلوم أن الضاد الشائعة سهلة النطق، فالضاد الموصوفة غيرها.

3 -تحذير العلماء عند التقاء الضاد بالظاء من الإدغام أو الإبدال في نحو قوله تعالى: {أَنقَضَ ظَهْرَكَ} [سورة الشرح 3/94]، {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ} [سورة الفرقان 27/25] وذلك لأنهما حرفان متشابهان في السمع.

4 -وجود جناس لفظي بين حرفي الضاد والظاء، فالجناس اللفظي هو ما تماثل ركناه لفظا لا خطا، ويمثلون له بقوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ = 22 إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ = 23 } [سورة القيامة 22/75-23] وبفعلي: ظن وضن، وكقول الارجاني مجانسا بين هوازن بالتنوين جمع هازنة وهوازن القبيلة المعروفة:

وبيض الهند من وجد هواز بإحدى البيض من عليا هوازن

وكقول ابن عقيق التلمساني مجانسا بين فما وقمن وبين لفتة ولا افتتن:

أحسن خلق الله نطقا وفما إن لم يكن أحق بالحسن قمن

مثل الغزال نظرة ولفتة من ذا رآه مقبلا ولا افتتن

وقد تعرض كثير من العلماء للتجانس اللفظي بين الضاد والظاء كالسيوطي وعبد الغني النابلسي والشيخ عبد الحميد قديس ومحمد علي بن الخطيب والأستاذ أحمد الهاشمي.

5 -أن فصحاء العرب يجعلون أحدهما مكان الآخر كما نقل ابن الأعرابي عن ابن خلكان ومن ذلك قول الشاعر:

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خصال كلها لي غائض

ويشهد لذلك كثيرة إبدال الضاد ظاء في اللهجة الحسانية وهي عربية ملحونة، كقولهم في الضالة: " الظالة "، وفي القاضي " القاظي "، وفي ضبط " ظبط "، وفي المحضرة " المحظرة ".

6 -الضاد الشائعة هي الضاد المتفشية، وقد ذكر عبد الحكيم الاقعاني أنها غير فصيحة وأن الضاد العربية هي الشبيهة بالظاء[1].

ب – أنصار الضاد الشائعة:

(1) كتاب الرد على المتعصبين مع الحرف السوداني: محمد بن حنبل، م. س، ص12.

وقد وقف في وجه هذه الطائفة جماعة من العلماء تمسكوا بالضاد الشائعة غير الشبيهة بالظاء كحبيب الله بن الزايد (ت 1364 هـ) الذي حرر مكتوبا في الضاد، ومحمد بن أحمد يوره (ت 1340 هـ) في مساجلاته مع أبي مدين ومحمد فال بن محمد بن أحمد بن العاقل الديماني في كتابه " إظهار التباين والتضاد في مخرج الظاء ومخرج الضاد " وزين العابدين بن أحمد في كتابه " طريق السداد في تحقيق أمر الضاد " والمختار بن بزيد اليعقوبي من خلال نظم في أمر الضاد[1]، ومن أهم الأدلة التي انتهوا إليها ما يلي:

1 -أن الضاد الموريتاني الشائعة تواتر العمل بها وثبتت بالأسانيد الصحيحة يقول محمد الأمين الشنقيطي: " كل أهل شنقيط ينطق الضاد الموجودة في مصر وغيرها[2] سوى العلامة اللقن الفهم محمد فال بن باب حفظه الله فإنه ينطق بها قريبة من الظاء المألوفة ".

ويقول محمد فال بن أحمد بن العاقل الديماني:

من يجعل الضاد عين الظاء عارضه نص متى قال قد ضلوا بفيفاء

ونص أهل الأداء أن به قراءة الذكر لا تجوز إفتاء

2 -أن من يقرؤون الضاد شبيهة بالظاء لم ينتهوا إلى مفهوم الظرف وجعلوا الشبه اتحادا فنطق الضاد ظاء يقتضي إخراجها من مخرج الظاء، قال المصباح: " والعامة تجعلها ظاء فتخرجها من طرف اللسان ومن الثنايا " ويقول ابن أبي زيد: " من لا يفرق بين الضاد والظاء في المخرج لا تجوز إمامته ".

ويقول محمد بن أحمد يور الديماني:

وكل حرف له واد يهيم به فما تضاجعه الإخوان في الوادي

وهيبة العيلمي الهيبي جامعة في مضجع النطق بين الظاء والضاد

3 -أن الضاد والظاء متمايزان تمايزا تاما، قال صاحب التوضيح: إن الضاد والظاء متباينان كتباين اللام والنون "، وقال الزمخشري: " فلو وضع المصلي أحد الحرفين في مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين، لأن التفاوت بين الحرفين كالتفاوت بين أخواتهما ".

هذه إذن أهم الآراء التي أثرت الخلاف وأنتجت الكلمة حول مباحث الجيم والهاء والضاد، وقد قدمناها بصورة وصفية تقريرية همها الاستعراض الملخص والتقابل الصامت والبسط الموضوعي لأدلة الطرفين بحيث نترك للقارئ فرصة التفكير والتروي ليصل إلى الحكم والاستنتاج.

فما هي أسباب هذا الخلاف ودواعيه؟

---

(1) شرح بصائر التالين: لمحمد محمود المجلسي.

(2) الوسيط: محمد الامين الشنقيطي، م. س، ص514.

وما هي مظاهر التباين والتوافق فيه؟

وإلى أي حد يمكن الترجيح بين هذه الأقوال؟

الفصل الرابع :
النتائج والآثار :

إننا ما دمنا مسوقين في هذا الفصل إلى أن نتناول المباحث الصوتية السالفة في مستواها المعياري فإن علينا أن نحدد جملة من آليات الحكم ومفاهيم القيمة نتمكن في ضوئها من علاج معطيات الأحكام ودلالات المفاهيم وحدود القيمة.

ونبدأ برسالة أسباب حدوث الحروف " للرئيس ابن سينا " فنستفتيها عن حروف: الجيم والشين والضاد والظاء فنقول:

1 -الجيم: يحدث من حبس بطرف اللسان تام وبتقريب الجزء المقدم من اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء وفي النتوء والانخفاض مع سعة في ذات اليمين واليسار وإعداد رطوبة حتى إذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذا يصغر لضيق المسلك، إلا أن يتشذب لاستعراضه، ويتم صفيره من خلال الأسنان وينقص من صفيره ويرده إلى الفرقة المندفعة فيما بين ذلك فتدفعه، ثم تتفقأ، إلا أنها لا يمتد بها التفقؤ إلى بعيد، ولا تتسع بل تفوقها في المكان الذي يطلق فيه الحبس "[1].

ويحدد سيبويه مخرج الجيم الأصلية فيقول: " ومن وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء "[2]، ويقول الزمخشري: " وللجيم والشين والياء وسط اللسان وما يحاذيه من وسط الحنك "[3] ويقول ابن الجزري: " المخرج السابع الجيم والشين المعجمة والياء غير المدية – من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك – ويقال إن الجيم قبلهما "[4]. ويعلق المرغني بقوله: " نفهم من تقدم الجيم في الذكر أنها مقدمة على الشين والياء في المخرج، فهي أقرب منها إلى أصل اللسان وهذا الذي عليه الأكثرون، ومنهم الشاطبي وابن الجزري، وقدم مكي والمهدوي الشين على الجيم "[5].

وفي الفرع المستقبح من الجيم يقول سيبويه: " وتكون اثنان وأربعون حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم

---

(1) تحقيق في حرف الجيم: حامد بن محمد ص41.

(2) الكتاب: سيبويه ج4، ص433.

(3) المفصل: الزمخشري ج10، ص394.

(4) النشر: ابن الجزري ج1، ص200.

(5) النجوم الطوالع: ابن بري، ص206.

والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين "[1]. ويقول الزمخشري: " والبواقي حروف مستهجنة وهي الكاف التي كالجيم والجيم التي كالشين "[2].

ويقول ابن يعيش معلقا على كلام الزمخشري: " هذه حروف مسترذلة غير مأخوذ بها في القرآن ولا في كلام فصيح، فأما الكاف التي بين الجيم والكاف فقال عنها ابن دريد هي لغة في اليمن يقولون في جمل / گمل، وفي رجل / رگل، وهي في عوام أهل بغداد فاشية شبيهة باللثغة، والجيم التي كالكاف كذلك، وهما جميعا شيء واحد، وأما الجيم التي كالشين فتكثر في الجيم الساكنة، إذا أتى بعدها دال أو تاء نحو قولهم في اجتمعوا: اشتمعوا، وفي الأجدر /الأشدر، فتقرب الجيم من الشين لأنهما من مخرج واحد، إلا أن الشين أبين وأفشى "[3]، ويقول ابن الجزري: " والجيم يجب أن يتحفظ بإخراجها فربما خرجت من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فتصير ممزوجة بالشين كذا يفعله كثير من أهل الشام ومصر، وربما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس وهو موجود كثيرا في بوادي اليمن "[4].

2 -الشين: وهي حادثة حيث يحدث الجيم بعينه، ولكن بلا حبس البتة، فكأن الشين جيم لم يحبس، وكأن الجيم شين ابتدأت بحبس ثم أطلقت.

3 -الضاد: تحدث عن حبس تام عندما تتقدم موضع الجيم وتقع في الجزء الأملس الذي إذا أطلق أقام في مسلك الهواء رطوبة واحدة أو رطوبات تتفقع من الهواء الفاعل للصوت ويمتد عليها منحبسا حبسا ثانيا ويتفقأ فيحدث شكل الضاد.

ويقول سيبويه: " ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الاضراس يخرج الضاد " . وفي التسهيل لابن مالك " وأول حافة اللسان وما يليه من الاضراس للضاد ". وفي جمع الجوامع للسيوطي: " وأول حافتيه وما يليهما من الأضراس للضاد وهي من الأيسر أقيس، قيل تختص به وقيل بالأيمن، ولا ينطق بها وبالحاء غير العرب " وقال أبو حيان: " الضاد أصعب الحروف في النطق لا يخرج من موضعها غيرها. .. وذهب الخليل إلى أن الضاد شجرية من مخرج الجيم والشين. ... " وقال الخليل الشجر مفرج الفم أو منفتحه، وقال غيره: " هو مجتمع اللحيين عند العنفقة " وقال الضميري: " بعض الناس يخرجها من اليسرى، وبعض الناس يسهل عليه إخراجها من الجهتين معا " ويحكى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يخرجها من الجانبين "[5].

---

(1) الكتاب، م. س، ص432.

(2) المفصل، م. س،

(3) شرح المفصل: ابن يعيش ج10، ص128.

(4) النشر، م. س، ص218.

(5) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، م. س، ص516.

ويقول ابن الجزري: المخرج الثامن للضاد المعجمة من أول حافة اللسان وما يليه من الاضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل، وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين "[1]. ويفصل في شأن الضاد أكثر فيقول: " والضاد انفرد بالاستطالة وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة وقل من يحسنه فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال ومنهم من يجعله لاما مفخمة ومنهم من يششمه – الزاي وكل ذلك لا يجوز. .. فليحذر من قلبه إلى الظاء لاسيما فيما يشتبه في لفظه نحو: ضل من تدعون. .. وليعمل الرياضة في إحكام لفظه خصوصا إذا جاوره ظاء نحو: {أَنقَضَ ظَهْرَكَ} [سورة الشرح 3/94][2]، ويقول سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي: " فالضاد الذي تجب التلاوة به رخو طويل يجري صوته معه "[3]. وقال المرغني: " فإذا لفظت بالضاد المعجمة بأن جعلت مخرجها حافة اللسان مع ما يليها من الاضراس بدون إكمال حصر الصوت وأعطيت لها الإطباق والتفخيم الوسيطن والرخاوة والجهر والاستطالة والتفشي القليل فهذا هو الحق المؤيد بكلام الأمة في كتبهم "[4].

4 –الظاء: وإن كان حبس كالإشمام بجزء صغير من طرف اللسان وأجراء الهواء المطلق بعد الحبس على سائر سطح اللسان على رطوبته وحفز له جملة سمع الظاء.

ويقول ابن لاجزري: " والمخرج الرابع عشر للظاء والذال والثاء من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا "[5].

وأما همزة بين بين فيقول بشأنها ابن الجزري: " أما الذي يعد ساكنا صحيحا من المتفق عليه فهو عشر كلم في ثمانية عشر موضعا هي {أانذرتم} في البقرة، ويس، و{أَانتُمْ} في البقرة والفرقان، وأربعة مواضع في الواقعة وموضع في النازعات، و{أَأَسْلَمْتُمْ} [سورة آل عمران 20/3] في آل عمران، و{أأقْرَرْتُمْ} [سورة آل عمران 81/3] فيها أيضا، و{أ انت} في المائدة والأنبياء. و{أَارْبَابٌ} [سورة يوسف 39/12] في يوسف. و{أأَسْجُدُ} [سورة الإسراء 61/17] في الإسراء. و{أَأَشْكُرُ} [سورة النمل 40/27] في النمل. و{أأَتَّخِذُ} في يس. و{أَأَشْفَقْتُمْ} [سورة المجادلة 13/58] في المجادلة. فاختلفوا في تخفيف الثانية منهما وتحقيقها وإدخال ألف بينهما، فسهلها بين الهمزة والألف ابن كثير، وأبو عمر وأبو جعفر وقالون ورويس والأصبهاني عن ورش واختلف عن الأزرق عنه وعن هشام.

أما الأزرق فأبدلها عنه ألفا خالصة صاحب التيسير وابن سفيان والمهدوي ومكي وأبي الفحام وابن الباذش وغيرهم، قال الداني وهو قول عامة المصريين عنه وسهلها عنه بين بين صاحب العنوان وشيخه

---

(1) النشر في القراءات العشر، مرجع سبق ذكره، ص200.

(2) النشر في القراءات العشر، م. س، ص220.

(3) شرح بصائر التالين: محمد عبد الله ولد محمد مولود المجلسي، مخطوط.

(4) نفس المرجع السابق.

(5) النشر في القراءات العشر، م. س، ص362.

الطرسوسي وأبو الحسن طاهر بن غليون وأبو علي الحسن بن بليمة وأبو علي الأهوازي وغيرهم وذكر الوجهين جميعا ابن شريح والشاطبي والصفراوي وغيرهم. ..

وأما هشام فروى عنه الحلواني من طريق ابن عبدان تسهيلها بين بين وهو الذي في التيسير والكافي والعنوان والمجتبى والقاصد والإعلان وتلخيص العبارات وروضة المعدل وكفاية أبي العز من الطريق المذكورة، وهو أيضا عن الحلواني من غير الطريقة المذكورة في التبصرة والهادي والهداية والإرشاد والتذكرة لابن غليون والمستنير والمبهج وغاية ابن أبي العلاء والتجريد من قراءة على علي القاري وهو رواية الأخفش عن هشام "[1].

وقد تعمدنا طول الاستشهاد لنشير إلى جذور المسألة ولنتناولها في أصولها كسابقتيها إنه خلال ما قدمنا يمكن أن نقول إن الجيم العربية بأوصافها المتفق عليها من جميع العلماء (الشدة والجهر والقلقلة والانفتاخ والانسفال) حرف أصلي يخرج من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى وأن الفرعية هي المستقبحة وإنها صوت مزيج بين الجيم والشين أو بين الجيم والكاف وأن الضاد بأوصافه المتفق عليها (التفخيم والإطباق والجهر والرخاوة والاستطالة) يخرج من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس، وهو من أصعب وأعسر الحروف نطقا، وإن همزة بين بين لم تقرأ إلا محققة أو مسهلة إذا استثنينا الرواية التي نسبت إلى الداني.

فإذا كانت الآليات والمفاهيم حاضرة بهذا الشكل الدقيق في الذهنية العالمة، وإذا كانت الميزة الغالبة هي الاتفاق، فلماذا الاختلاف؟ وما أسباب التعارض؟

أ -أسباب الخلاف ودواعيه:

إن الخلاف العلمي ظاهرة صحية مطلوبة عندما تحكم بأدبيات الحوار والنقاش العلمي الرصين إذ يعد حينئذ مظهرا من مظاهر النشاط الفكري وحركة العقل في تعامله مع المعارف في أبعادها التحليلية والتركيبية والاستنتاجية والإبداعية، ولكن لماذا وقع هذا الخلاف حول المباحث الصوتية بالذات؟ نقول إن الخلاف وقع لأسباب أهمها:

1 -ما روثه العلماء الموريتانيون عن العرب القدماء نحاة وقراء من اختصاص هذه الأصوات بمباحث إشكالية، فالأوصاف التي أعطاها سيبويه للصوت العربي المعياري الذي نقرأ به القرآن وننشد به الأشعار لا يتمتع بها الصوت العربي اليوم بشكل كامل، وهذا طبيعي في ضوء العامل الزمني والمكاني والتمايز الاجتماعي والثقافي.

2 -التقليد والتعصب المذهبي: لقد أدى هذا العامل إلى انسجام مهم في الثقافة الموريتانية، لكنه إلى جانب ذلك وقف سدا منيعا أمام الدخيل مهما كانت

(1) النشر في القراءات العشر، م. س، ص363.

طبيعته، ومعلوم أن قراءة نافع بروايتي ورش وقالون استقرت في الربوع الموريتانية تقرأ بجيم مغربية وضاد موريتانية وتسهل فيها همزة بين بين فترة من الزمن قبل أن تثار مشكلة الجيم المنعقدة على يد سيدي عبد الله بن سيدي بابه كتاب الضاد الذي بلور إشكالية هذا الحرف، وقبل أن يثير ابن الحاج الرقيق مشكلة الهاء الخالص في همزة بين بين فكانت إثارة هذه الإشكاليات خروجا على القراءة المتبعة وكسرا للتقليد المطرد ولا غرو إذا أن يهب جمع غفير من العلماء لدحض هذه الآراء وإبطال هذه التجديدات بوصفها بدعا مستحدثة وآراء شاذة مما يستدعي ردة فعل مماثلة من الجانب الآخر.

إلا أن ما حصل بالفعل هو أن الغالبية الغلبى من العلماء تناولت هذه المواضيع بمنهج علمي رصين يحلل ويشخص ويعزو ويفصل ويستنتج بالطريقة المثلى.

3 -الحرص الشديد على القرآن الكريم والخوف عليه من أن يتأثر بالواقع اللغوي في هذه البلاد التي توجد فيها أصوات تختلف اختلافا بينا عن المعياري والفصيح الذي يجب أن يقرأ به القرآن الكريم، ووجود مجموعة من اللهجات تزاحم العربية في نفس المجال الجغرافي يؤدي إلى التأثير والتأثر وبالتالي إلى الاستلاف والاقتراض فيتأثر أبناء البلد وهو ينطقون العربية ويتلون القرآن بموروثات ومألوفات العادات النطقية الموجودة في لغتهم الأم أو التي يمليها التلاقح الحضاري والتعايش الاجتماعي، فاللغات الإفريقية والصنهاجية غير قادرة على إعطاء الأوصاف المعيارية لمجموعة من حروف اللغة العربية لذا فإن وصف الجيم بالسودانية أو الصنهاجية كاف لإقصائها عن المستوى المعياري في اللغة العربية.

2- المفاضلة والمقايسة:

إن مسألة الترجيح والحكم تتطلب استقصاء علميا لكل ما قيل في الموضوع وبحثا دقيقا مترويا لمعطيات الدراسة الفاحصة عبر جهد عقلي نافذ ومتأن وهو أمر يكاد يكون مستحيلا في مثل هذه العجالة والشيء الوحيد الممكن في هذا الضوء هو القيام بجملة من المفاضلات والانتقاءات الاستنتاجية.

أ -قضية الجيم:

يتفق القراء على أن الفرق بين الجيم والشين أو بين الكاف والجيم يحصل بأدنى تفريط في مخرج الجيم وصفاتها. والجيم الحسانية تتصف بأوصاف الجيم العربية باستثناء صفة الشدة باعتبارها انحباس الصوت عند النطق بالحرف وقد أجاب أنصار الجيم الحسانية عن هذه المسألة تـ:

1 - أن الانحباس أو الانحصار مكاني لا زماني، فلو كان الامتناع من التطويل هو معنى انحصار صوت الحرف الذي لا فرق بينه وبين

انحصار كل شديد إلا بكونه انحصار أثر خاص وفي مكان خـــاص لم يتصف شيء مما يبقى أياما وشهورا وسنين من الحديـــد والحجـــارة وغيرهما بالشدة إذ لا معنى لامتناع الحرف من التطويل، ولا مفاد له إلا انعدامه بأثر وجوده الذي هو النطق به وانتفاؤه وذلـــك واضـــح البطلان فبقاء الأصوات وانقطاعها بسرعة لا دخل لهما في شدتها ولا ضعفها[1].

2 - أن الصفة تصدق على ما يماز به الحرف عن أخيـــه في المخـــرج وفي الجيم من انحباس الصوت ما يميزها عن الشين.

3 - أن جري الصوت ثابت كما له للهاء والضاد لاتفاق الأئمـــة علـــى رخاوتهما والحس شاهد لنقص قبولهما لتطويل صـــوتهما أو فقـــده وحمل الثابت لشيء على المنتفى عنه غير صحيح[2].

4 - إن جري الصوت مختلف في كماله في حروف العلة، والأصح الـــذي هو مذهب كثير من الأئمة نقصه وكمال قبولها لتطويل صوتها ظاهر حسا ومتفق عليه نقلا[3].

5 - أن الجيم بها صفتا قوة هما الشدة والجهر وصفتا ضعف هما الانفتـــاح والانسفال، والقويتان تستلزمان حبس النفس والصوت والضـــعيفتان تستلزمان جريانهما فتكافأتا، وهو قول الجعبري، ونصـــه: " هـــذا الحرف موصوف بصفتي قوة وضعف وتكافأتا "[4].

وأما الجيم المنعقدة فشديدة تامة الشدة وباعتبار الجهر انحباس النفس عند ترديد الحرف محركا فإن الجيم المنعقدة غير تامة الجهر إذ ينسل معها بعض النفس.

وباعتبار القلقلة صفة تحدث من اجتماع الشدة والجهر ففي كل من الجيمين قلقلة غير تامة لعدم تمـــام جهـــر المنعقدة وعدم تمام شدة الحسانية، وعلى أن الانفتاح هو انفراج ما بين ظهر اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف، والانسفال هو إخفاض اللسان عند النطق بالحرف، فالجيم الحسانية متمكنة منـــهما كـــل الـــتمكن بعكس الجيم المنعقدة، وقد أجاب أنصار الجيم المنعقدة عن ذلك بمسائل منها:

1 -أن الانفتاح والانطباق نسبيان يعودان إلى كثرة المخرج وقلته.

---

(1) رسالة في حرف الجيم، م. س، ص26.

(2) رسالة في حرف الجيم، م. س، ص27.

(3)رسالة في حرف الجيم، م. س، ص27.

(4) مؤلف في حرف الجيم ابن ايد الأمين الجكني، مخطوط.

2 -أن العبرة في الانطباق والانفتاح فيما عدا المخرج والانطباق في المخرج لا يتأتى بالانفتاح ولذلك لم تكن الدال مطبقة.

3 -أن الاستعلاء والانسفال راجعان إلى الصوت لا إلى اللسان أو إلى أصل اللسان دون سواه [1].

أما التفشي وهو انتشار الصوت في الفم عند النطق بالحرف، فلم يرد من صفات الجيم عند النحاة واللغويين، إلا أن الجعبري ذكر أن الجيم والشين كشكشة وذكر ابن يعيش أن الشين أبين وأفشى، وذكر المرادي أن الجيم فيها ثلاث لغات: التفشي وهي لغة العرب، ولغتان أخريان [2]. فهذه الإشارات تقتضي نوعا من التفشي في حرف الجيم.

وأما الرواية فقد تقرر أن سيدي عبد الله بن سيدي بو بكر شيخ القرآن التنواجيوي أجازه الشيخ سيدي احمد الحبيب قطب سجلماسة بإجازة عبد الرحمن بن القاضي بالجيم المنعقدة وقد روى سيدي محمد ابن المحجوب الجكني عن ابن القاضي وأجازه في الحسانية وعنه أخذ بها محمد بن المختار بن الأعمش، وظاهر نص ابن القاضي مؤيد رواية الجيم الحسانية [3].

وتوجد في مخرج الجيم عدة أصوات متغايرة منها: الجيم المغربية أو الحسانية " j " بالفرنسية، الجيم السودانية أو المنعقدة " d j " بالفرنسية، والجيم القريبة من الشين وهي الصنهاجية أو جيم " اكلام اژناگه " والجيم التي في لفظ " اتشكسلوفاكيا "، وجلي أن الصنهاجية والتشكسلوفاكية مستهجنتان وبعيدتان عن الجيم العربية الفصيحة، ويرى الاستاذ محبوب الحلبي [4] أن الجيم المنعقدة عراقية وأن الجيم الحسانية شامية، وهما ليستا الجيم العربية الفصيحة.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الجيم التي نسمعها الآن من مجيدي القرآن الكريم قريبة من الجيم الأصلية إن لم تكن هي نفسها، والذي يمكن أن تركن إليه هو أن الجيم العربية الفصيحة الشديدة المنفتحة ربما تكون اختفت من جهاز النطق فلم تعد موجودة إذ اختفاء بعض الأصوات المعيارية أصبح من الأمور المسلم بها [5].

وأن الجيم المنعقدة مستعلية استعلاء بلغ حد الإطباق عند بعض الناطقين بها وهي بعيدة من الشين كل البعد، ولهذا يبعد أن تكون العربية الفصيحة لأن الجيم العربية تخشى اختلاطها بالشين ومنفتحة ومشالة وأن الجيم الحسانية فيها نوع من الرخاوة والتفشي يمنعها من المطابقة الكاملة للجيم العربية المشددة.

---

(1) الخلافات الصوتية، الدامي بن اعمر، ص16.

(2) رسالة في حرف الجيم : الشيخ محمد المامي. مخطوط.

(3) انظره في الفصل الثالث، ص: من هذه المذكرة.

(4) رسالة نشرت في مجلة اللسان العربي 1970، ص152.

(5) علم اللغة العام، الدكتور إبراهيم أنيس، ص137.

وأن الراجح في هذين الجيمين أن تكون كل منهما رواية صحيحة تمشيا مع حديث البخاري ومسلم: ((نـــزل القرآن على سبعة أحرف)) وإسقاطا للقول بنسخه بعد جمع مصحف عثمان.

ب - قضية بين بين [1] :

لقد تركز الخلاف في هذه القضة حول روايتها، والواقع أنه لا توجد أي إشارة تـــدل على أن الداني روى الهاء الخالصة عن غيره حسب ما اطلعنا عليه، والمتعلق الوحيـــد في القضية هو حسن الظن بالداني أي أنه لا يمكنه أن يجتهد في نطق القرآن الكريم، بل لا بد أن يكون اعتمد سندا صحيحا وإن لم يصرح به، وأما إثباتها عن الداني بسند متصل فالعمدة فيه قول إدوعيشي: " والعمل عندنا على هاء خالصة " وقد أوصل هذا القول إلى ابن القاضي (ت 1082 هـــ) بسند متصل توقف عند ابن القاضي و لم يسلسل إلى الداني (ت 444 هـــ) واستنادا إلى أهم كتب القـــراءات ككتـــاب التبصـــرة وكتاب الإقناع وكتاب حجة القراءات السبع وكتب التيسير والشاطبية والدرر اللوامع والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة وغيث النفع والنشر في القـــراءات العشـــر والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، لا نجد أثرا لهذه الهاء الخالصة، والـــذي يظهر أن هذه القراءة نتجت عن تفسير خاطئ لكلام الداني بالإضافة إلى استحسان ابن القاضي ظهور صويت هاء خفيف في قراءة بين بين، ففي النجوم الطوالع قـــال أبـــو شامة، وكان بعض أهل الأداء يقرب الهمزة المسهلة من مخرج الهاء، قال وسمعت أنـــا

---

(1) وتكون بين بين:

أ – الهمزة المتحركة المتحرك ما قبلها في :

- المفتوحة بعد فتح مثل سأل.
- المفتوحة بعد ضم مثل مؤانسة.
- المضمومة بعد كسرة فئة ومائة.
- المضمومة بعد فتح رؤوف.
- المضمومة بعد كسر ناشئون.
- المضمومة بعد ضم رؤوس.
- المضمومة بعد فتح سئم.
- المكسورة بعد ضم سئل.
- المكسورة بعد كسر الناشئين.

ب الهمزة المتحركة بعد الألف وهي ثلاثة أقسام:

- مضمومة مثل هذا ماؤهم.
- مكسورة مثل من دعائه.
- مفتوحة مثل جاءه.

منهم من ينطق بذلك وليس بشيء، ولكن جوز الداني وجماعة إبدالها هاء خالصة في الأنواع الثلاثة، قال العلامة سيدي عبد الرحمن بن القاضي في بعض تآليفه: " جرى الأخذ عندنا بفاس والمغرب في المسهل بالهاء خالصة مطلقا وبه قال الداني وجوزه بعضهم في المفتوحة دون المضمومة والمكسورة والأكثرون على المنع مطلقا وبه جرى عملنا بتونس "[1].

فهذا النص هو أقوى حجة تمسك بها أنصار الهاء الخالصة والمستفاد منه أن ابن القاضي أثبت شيوع الهاء الخالص في بلاده وأنه مأخوذ عن الداني والرواية جاءت في صيغتين: " جوز الداني " و" قال الداني " وصيغة جوز، صيغة من صيغ الاجتهاد الأصيلة غير واردة في مجال الرواية، وأما قوله فيحمل على ما قاله ابن شقرون: " ولا يخفى ما في النطق بحرف مولد بين مخرجين من الحرج ولذلك رخص الداني وغيره للعاجز إبدال الهمزة المسهلة هاء خالصة "[2].

وبما أن الاجتهاد في القرآن لا يجوز فالرجوع إلى الأصل وهو التحقيق أولى من تلفيق الرخص، وعليه فإن ركن الرواية في الهاء الخالصة لم يثبت[3] عن الداني وهو مخالف للمعروف من آرائه وأقواله ومنهجه العام في إثبات القراءة والصيغة التي وردت بها نسبة هذه القراءة يعوزها العزو وتدل على الاجتهاد وهو غير جائز في القراءة والسند الذي يوصلها إلى الداني مبتور، وأما سندها إلى رسول الله ﷺ فلم يعلم عنه شيء إذ صيغتها لا تناسب الرواية، فهي محتاجة إلى سند خاص لم يوجد، فلا يكفي فيها سند قراءة نافع ؛ لأنها لا خلاف فيها وهي مسألة خلاف، وأما التواتر فلا يسأل عنه إلا بعد السند الصحيح.

وأما إبدال أخرى الهمزتين هاء خالصا في اللغة العربية فقد أجمع أهل القياس من النحاة على أن إبدال الهمزة هاء مقصور على السماع فلا يقاس عليه، وقد صرح بذلك سيبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص والزمخشري في المفصل وابن عصفور في الممتع والسيوطي في المزهر وابن الحاجب في شافيته وابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف وصبحي صالح في دراسات فقه اللغة ومحمد المبارك في فقه اللغة وخصائص العربية. .. وغيرهم[4].

---

(1) النجوم الطوالع، م. س، ص67.

(2) الملخص المفيد في ما لابد فيه من التجويد: ابن شقرون، ص26.

(3) القرآن لا يثبت إلا بالسند الصحيح المتصل وهو ما فقد في هذه الرواية.

(4) إرشاد القراء، م. س ص27.

وقد استقصوا الكلمات التي وقع فيها الإبدال السماعي وهي كلمات أكثرها متعاقب مع الهاء على معنى واحد أو معنيين متقاربين: (جهر بالصوت وجأر بالدعاء، أز وهز، رؤد الغصن ورهد، برى وبره، بدأ وبده، أردت الشيء وهردته، وأبا فلا وهبا فلان، الإيرية والهيرية، أنرت وهنرت ، إياك وهياك، لأنك ولهنك، أرقت الماء وهرقته، أما والله وهما والله، أتمأل السنام، وأتمهل. ... الخ).

و لم يقل واحد منهم أن إبدال همزة بين بين هاء لغة من لغات العرب المسموعة كما هو الحال في همزة الاستفهام وإن الشرطية في لغة طيء (رأتني صواحبها فقلن هذا الذي * منح المودة غيرنا فجفانا)، هن فعلت.

هذا علاوة على أن الذي نعنيه هنا بكلامنا هو همزة التسهيل خصوصا أخرى الهمزتين الملتقيتين والهاء المبدل من الهمزة في هذه الكلمات السماعية واقع في أول الكلمة والهمزة لا تسهل في أول الكلمة إلا في حال وصل ما قبلها بها.

ولو افترضنا ثبات الإبدال بالقياس لما جازت لنا القراءة به دون رواية متواترة وبناء عليه فإن الذين رسموا هذه الهمزة هاء خالفوا رسم العرب لأن الهمزة المسهلة في المصحف إنما كتبت في الغالب بأحرف العلة أو برأس عين، والقياس لا يقبل بإبدال الهمزة عينا لندرة حدوث ذلك:

أعن تذكرت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وتشابه الحروف كتابة لم يسوغ عند الصرفيين قياس إبدال المتشابهات ولو فعلنا ذلك لاختلط الحابل بالنابل والتبس الأمر واضطربت مواد اللغة، انظر إلى المتماثلات (ب، ت، ث، ح، ج، خ، ط، ظ. .. الخ) وتذكر مخارجها وصفاتها ولا تنس أن هذه الحروف كانت خالية من النقط يوم كتب المصحف، فلو سمح العرب لأنفسهم أن ينطقوا كل حرف بصوت مماثله لفسدت اللغة لم نجد من العربية شيئا مفهوما والسماع إلى جانب التواتر في تسهيل الهمزة، قال الشاعر:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وختاما في قضية الهمزة نقول: إن الاجتهاد في أداء همزة بين بين أو الرجوع إلى التحقيق أولى من الاجتهاد المؤدي إلى وضع حرف غير معروف هو صوت الهاء.

ويعتبر كلام ابن الحاجب أصدق شيء في هذا الباب فقد قال: " يجري العمل اليوم على جعل همزة بين بين هاء خالصة مع اتفاق القراء والنحاة وعلماء العربية على أنها تسهل بين الهمزة وبين حرف من جنس حركتها "[1].

ج – **قضية الضاد**:

إن مبحث الضاد من أكثر هذه المباحث الصوتية موضوعية وورودا وبالتالي من أكثرها استعصاء على الحكم والمفاضلة، ومن المتفق عليه عند أئمة القراءة والنحو أن الضاد أعسر الحروف نطقا، وعليه فإننا نستبعد أن يكون أي من الفريقين قد وفق في نطق الضاد المعيارية التي وصفها سيبويه بقوله: " ولولا الإطباق لخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها "[2] إلا أننا يمكن أن نطمئن إلى :

1 – أن هناك شبها صوتيا بين الضاد والظاء متأتيا من توافقهما في الصفات، قال المرغني نقلا عن صاحب الرعاية في كتابه " جهد المقال ": " إن الضاد مع الظاء متشابهة في السمع ولا تفترق عنها إلا بالمخرج والاستطالة ولولاهما لكانت إحداهما عين الأخرى " وهو محل اتفاق بين أهل اللغة وأصحاب القراءات.

2 – أن الضاد الموريتانية ليست متمكنة كل التمكن من كافة صفات الضاد إذ أن صفة الرخاوة فيها غير تامة باعتبارها جريان النفس عند النطق بالحروف إلى جانب أنها يظهر فيها صوت الدال المفخمة جليا.

3 – أن الضاد لا يجوز نطقها ظاء اختيارا إذ أنهما متباينان مخرجا ومتفاوتان صفة، ونطق الضاد ظاء يعني إخراجها من مخرج الظاء، وقد نص ابن الجزري على حرمة ذلك بقوله: " أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارئ خلف أمي وهو من لا يحسن القراءة، واختلفوا في صلاة من يبدل حرفا بغيره سواء تجانسا أو تقاربا، وأصح القولين عدم الصحة كمن قرأ: الحمد بالعين أو الدين بالتاء أو المغضوب بالخاء أو الظاء "[3].

4 – أن الميل إلى جهة الظاء بدل الدال المفخمة عند العجز عن النطق المعياري للضاد أولى للتجانس الصوتي الواقع بينهما ولما يراه بعض الفقهاء من صحة صلاة من قرأ بالظاء متعمدا والله أعلم.

---

(1) النقلة في حرف الجيم " خطوة فم الحاس "، م. س، مخطوط.

(2) الكتاب: سيبويه، ص406.

(3) النشر في القراءات العشر، م. س ص224.

وفي النهاية نقول: إننا إذا كنا في علاجنا لهذه المشكلات الصوتية والمسائل الخلافية لم نستطع أن نقدم حلولا واضحة وأحكاما حاسمة، فإننا حاولنا أن نجعل القارئ أمام أهم الحيثيات في هذه المواضيع ليتولى الحكم عليها في ضوء إلمامه بأهم النتائج والآثار المترتبة على هذه المباحث، فما هي إذن؟

3- **النتائج والآثار**:

إن الخلاف حول هذه المباحث الصوتية كانت نتائج مهمة على الصعيد الثقافي نجملها في:

1 - إثراء المكتبة الموريتانية بمؤلفات وتصانيف ورسائل ونقل وأنظام مهمة يطغى فيها جانب الإبداع على جانب التقليد، وتتعلق بموضوع طريف ومتخصص ما كان له أن يتناول بالدرس والتمحيص لولا الخلاف الذي دار حوله.

2 - انفراج حدة التعصب المذهبي بسبب معايشة آراء الآخرين ردحا من الزمن، حتى لقد رأينا محمد بن محمد سالم المجلسي الذي بلغ به التقليد والتعصب للشيخ خليل حدا يقول به: " نحن خليليون إن ضل ضللنا " رأيناه يرجع عن الجيم الحسانية إلى المنعقدة فيقول في ذلك:

لقد كنت في جيم التفشي مقلدا ... لقوم لهم قد حسنتها الطبائع
أدافع عنها من يحاول خسفها ... بما كان بعض القوم قدما يدافع
ولما بدا لي الحق والحق نوره ... لدى اللب مهما ينظر الكتب ساطع
تحولت للجيم الشديدة راجيا ... من الله تسديد الذي أنا صانع
ألا فاشهدوا أني من الجيم تائب ... إلى الله للجيم الشديدة راجع

وقد ساعدت هذه الخلافات إذا على القبول بمناقشة ما بأيدينا من التراث الإسلامي وأنه يمكن أن يكون قد اعتراه الخطأ في فترة من الفترات بوصفه حصيلة من الاجتهادات غير المعصومة.

3 - تزويد أتباع كل فريق بأدلة وبراهين وحجج معتمدة تمكنهم من الانتقال من مرحلة التقليد الأعمى إلى التقليد المستبصر الذي يبحث عن الدليل ويربط الفرع بالأصل.

4 - العناية بالمباحث الصوتية الأخرى ونفض الغبار عنها وتجلية ضوابطها وقواعدها قبل أن تكون محل خلاف.

الخاتمة :

لقد رأينا أن البدايات الأولى للتجويد تعود إلى نزول القرآن على محمد ﷺ وقد تطور وانتشر واكتملت قواعده وأسسه في بعديه الصوري والصوتي خلال العهد الراشدي وظهرت مؤلفاته بكثرة وتنوع خلال القرنين الثاني والثالث الهجري ووصلت طرقه ورواياته إلى بلاد المغرب قبل القرن الرابع الهجري ليصل إلى موريتانيا على يد الإمام الحضرمي (5 هـ) ويستقر كعلم يدرس وتؤخذ الرواية القرآنية في ضوئه في نهاية القرن الحادي عشر الهجري وبداية الثاني عشر على يد كل من اشريف ملاي الزين الشنقيطي وشيخ القرآن التنواجيوي وانتشر وتشعب بروايتي ورش وقالون في القرن الثالث عشر الهجري بحيث لم تخل خيمة موريتانية من تدريس القرآن وتحفيظه أولا وتعليم رسمه ومبادئ تجويده ثانيا .

وقد ظل القرآن وعلومه فضية مركزية لدى العلماء الموريتانيين فتناولوا أغلب موضوعاته بالبحث والتمحيص والتأليف والاختصار والشرح والتعليق، ونبغ من هؤلاء رجال أبدعوا في هذه الفن من أمثال: آب بن اخطور صاحب كتاب " أضواء البيان " وعبد الودود ولد حموه الأبياري " صاحب تفسير القرآن بالأحاديث المخرجة من الخمسة الصحاح ".

وقد شكلت المباحث الصوتية للجيم والهاء والضاد تحديا مهما للذهنية العالمة، فهي من جهة خروج عن التقليد والمألوف والشائع من الاستعمال، ومن جهة ثانية محاولة رائدة للوصول باللسان الموريتاني إلى نطق الصوت المعياري الفصيح حفظا له من أن يترلق بعدوى اللسان الصنهاجي أو الإفريقي المجاور، خاصة وأن المنطقة أصبحت تعرف نوعا من الإبدالات على مستوى الجهاز الصوتي كإبدال الهمزة عينا والضاد دالا والقاف غينا والسين شينا. ...

وقد ترك رعيل هؤلاء العلماء بصماته الواضحة على الثقافة الموريتانية وحفظ لها التماسك والتجانس إلى جانب التنوع والعمق.

فهل نجد من يتابع المسيرة ويكمل البنيان. ..؟ والله أعلم

المصادر والمراجع

أولا: المطبوعات:

- الإتقان في علوم القرآن / السيوطي / دار الفكر.
- البرهان في علوم القرآن / الزركشي / دار الكتاب اللبناني.
- التجويد وعلوم القرآن / عبد البديع صقر / ط6 / مكتبة وهبة.
- تاريخ القرآن / إبراهيم الأبياري / ط3 / 1982 / دار الكتاب اللبناني.
- مباحث في علوم القرآن / مناع القطان / ط17 / 1990 / مؤسسة الرسالة.
- مختصر علوم القرآن / محمد علي عبد الكريم الرديني / دار الشهاب.
- النشر في القراءات العشر / ابن الجزري / دار الفكر.
- تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة / دار الكتاب اللبناني.
- بلاد شنقيط (المنارة والرباط) / الخليل النحوي / ط1 / 1987 / تونس.
- حياة موريتانيا (الحياة الثقافية) / المختار بن حامد / ط1 / الدار العربية للكتاب.
- الوسيط في تراجم علماء وأدباء شنقيط / أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي / ط2 / 1958 / السنة المحمدية.
- تحقيق في حرف الجيم / حامد بن محمذ / ط1 / 1974 / المطبعة الملكية بالرباط.
- الكتاب / سيبويه / دار الكتاب اللبناني.
- المفصل / الزمخشري / دار الفكر.
- شرح المفصل / ابن يعيش / دار الشهاب.
- الملخص المفيد في ما لابد منه من التجويد / ابن شقرون / الدار العربية للكتاب.
- الإحكام في نقل المصحف / مكتبة وهبة.
- النجوم الطوالع / مكتبة وهبة.
- منهاج المسلم / أبو بكر الجزائري / ط2 / 1967 / دار الفكر.

ثانيا: المرقونات:

- مساهمة الموريتانيين في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقا / أحمد بن الطلبة / جامعة تونس / 1985.
- مدخل إلى دراسة البعد الثقافي والاجتماعي والسياسي عند لمرابط باب بن محمذ بن حمدي / محمد بن حامد / 1987 / رسالة تخرج.
- الخلافات الصوتية والقرائية عند بعض الموريتانيين / الدامي ولد اعمر / 1992 / رسالة تخرج.
- تحقيق كتاب الرد على المتعصبين مع الحرف السوداني لمحمدو بن حنبل / احمد بن عبد الله / 1988 / رسالة تخرج.

- إرشاد القراء إلى أرجح الأقوال في حكم قراءة بين بين بصوت الهاء / محمد المختار بن احمدو / استاذ بثانوية البنين.

ثالثا: المخطوطات:

- الجوهر المنظم في رسم القرآن المعظم / احمد بن محمد الحاجي.
- شرح الدرر اللوامع على ابن بري / سيد محمد بن عبد الرحمن السباعي.
- نظم في مخارج وصفات الحروف / محمدن بن محمذ فال بن احمدو فال التندغي.
- رسالة في حرف الجيم / السيخ محمد المامي.
- نظم في إبطال الهاء الخالصة / الشيخ عبد الله بن داداه.
- نظم في إبطال الهاء الخالصة / محمد بن احمد محمود الشنقيطي.
- كتاب الضاد / الشيخ سيديا بابه.
- تعليق على بصائر التالين لمحمد مولود بن أحمد فال / محمد عبد الله بن محمد مولود.
- الانتصار للجيم الحسانية / سيد محمد بن الطالب بن أيد الأمين الجكني.

الموضوعات

تصدير : 1

المقدمة 2

الفصل الأول: حركة التجويد من النشأة إلى التطور 4

أولا: البناء والتأسيس : 4

أ-الخطوة الأولى : 4

ب-الخطوة الثانية : 5

جـــ - الخطوة الثالثة : 6

د - الخطوة الرابعة : 7

ثانيا: التطور والانطلاق : 7

أ- التقعيد والضبط : 8

ب- القراءات : 9

جـــ- القراء : 13

ثالثا: الانتشار والتشعب : 13

أ) المؤلفات والمؤلفون 13

ب) الأسانيد والروايات 15

الفصل الثاني: موريتانيا وحركة التجويد 18

أولا: الوصول والاستقرار : 18

1- البداية التاريخية : 18

2- أهم المتون المدرسة 20

3- الأداء : 21

أ- رسم المصحف 21

ب- أحكام التجويد 22

جـــ- مخارج الحروف وصفاتها 22

4- التأليف 23

أ) المؤلفات 25
ب) المؤلفون 25
ثالثا: التبعية والاستقلال 32
أ- التبعية أو التقليد 32
ب- الأصالة والاستقلال 33
الفصل الثالث: التجويد ومباحث الخلاف 35
أولاً: مبحث الجيم 35
أ- أنصار الجيم المغربية أو الحسانية وأدلتهم 36
ب-أنصار الجيم المنعقدة وأدلتهم 41
ثانياً: مبحث الهاء 43
أ- أنصار الهاء الخالصة وأدلتهم 43
ب-أنصار التسهيل وأدلتهم 44
ثالثا: مبحث الضاد 43
أ- أنصار الضاد الظائية وأدلتهم 47
ب-أنصار الضاد الشائعة وأدلتهم 49
الفصل الرابع 51
النتائج والآثار 51
1- أسباب الخلاف ودواعيه 54
2- المقايسة والمفاضلة 55
أ- قضية الجيم 55
ب- قضية الهاء 58
جـ- قضية الضاد 58
3- النتائج والآثار 62
الخاتمة : 63
المصادر والمراجع 64
الموضوعات 64

حركة التجويد في موريتانيا
من خلال
مباحث الضاد والجيم والهاء

محمد بن الدناه الأجودي الشنقيطي